الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبة
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمّد البشير الإبراهيمي– برج بوعريريج

الرّقم التّسلسلي :
رقم التّسجيل:
الشّعبة : دراسات لغوية
التّخصص : لسانيات عامة

كلّية: الآداب واللغات
قسم: اللّغة والأدب العربي

عنوان المذكّرة :

البناء البلاغيّ في أحاديث كتاب "الأربعين في مناقب أمّهات المؤمنين" لِابن عساكر

مذكّرة مقدّمة لِاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في اللّسانيات العامّة.

إعداد الطّالبتين :
- رميساء حموش
- رميصاء بلحاج

إشراف الأستاذ :
* عنتر مخناش *

أعضاء لجنة المناقشة :

اسم ولقب العضو	رتبته	مؤسّسته	صفته
منير بوزيدي	أستاذ محاضر (ب)	جامعة محمد البشير الإبراهيمي	رئيسا
عنتر مخناش	أستاذ مساعد (أ)	جامعة محمد البشير الإبراهيمي	مشرفا ومقررا
موسى لعور	أستاذ محاضر (أ)	جامعة محمد البشير الإبراهيمي	ممتحنا

السّنة الجامعية : 1444/1443 هـ - 2023/2022 م

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا صَاحِبَ الحَوضِ كَمْ لِلنَّاسِ مِنْ أَمَل
فِي وِرْدِهِ يَوْمَ تَسْقِي مِنْهُ كُلَّ ظَمِي

لِوَاؤُكَ الْحَمْـدُ يَوْمَ الدِّيـــنِ تَرْفَـعُهُ
يُمْنَاكَ يَا سَعْدَ مَنْ تَلْقَاهُ بِالـــدَّعَمِ

أَنْتَ الشَّفِيعُ لَنَا فِي يَومِ شِدَّتِنَا
تَقُــومُ وَحْدَكَ كُلُّ الـرُّسْلِ لَمْ تَــقُمِ

" أحمد عمر هاشم "

شكر وعرفان

بسم الله الرّحمان الرّحيم والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه الطّيّبين الطّاهرين، وبعد :

ها نحن على مشارف نهاية هذه الرّحلة، وفي آخر محطّات مسارنا الدّراسيّ، حيث تتسابق العبارات و يتزاحم الكلام مختلطا بالذّكريات ليقول امتثالا لقوله تعالى :﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة/152].

الحمد لله أوّلا وآخرًا، الحمد لله وما نحن هنا إلّا بفضل من الله، ونعمة، وتوفيق، الحمد لله عدد ما خطّت الأقلام، وتتالت الأيام والأعوام، وأنيرت البصائر والأفهام.

ثمّ إنّ خير خلق الله قد قال "لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ" ومن النّاس من لهم فضل علينا لسنا ننساهم ولا ننساه، فالشّكر موصول لكلّ من علّمنا ومن أزال غيمة جهل مررنا بها، برياح العلم الطّيبة، وقد قال صلوات ربي وسلامه عليه "مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ بِهِ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوا أَنَّكُمْ كَافَأْتُمُوهُ"

فنتقدم بالشّكر الجزيل للأستاذ "عنتر مخناش" الّذي أشرف على هذا العمل، وكان لنا خير قدوة طوال مشوارنا الجامعيّ، وخير معلّم وموجّه ؛ الّذي كانت آراؤه، وتوجيهاته حجر الأساس في بناء هذا العمل، فاللّهم اجزه عنّا خير الجزاء، واعطه حتى ترضيه، إنّك وليّ ذلك والقادر عليه.

وأخيرا نشكر كلّ من كانت له بصمة ولو بدعاء أو جبر خاطر من قريب أو من بعيد في إتمام هذا العمل المتواضع، والله نسأل الإخلاص والقبول والثّواب، والحمد لله ربّ العالمين.

مقدّمـــــــة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

مقدّمة:

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، الحمد لله الذي بتيسيره تذلّل الصّعوبات، وبجوده تتنزَّل الرَّحمات، وبنعمته تتمّ الصّالحات، أحمده على ترادف نعمه السّابغات، وترافد مننه السّائغات، حمدا دائما على ممرّ الأوقات والسّاعات، وأصلّي وأسلّم على إمام البلغاء والفصحاء، من شدّت إليه الفصاحة نطاقها، ومدّت إليه البلاغة رواقها، النّبيّ المعصوم الصّادق المصدوق، الّذي أوتي جوامع الكلم، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا، وبعد :

فقد كانت دراسة القرآن الكريم أُولى مقاصدنا وأسمى غاياتنا، وكانت نفوسنا توّاقة إلى التّفيؤ من ظلاله، فشرف العلم بشرف المطلوب، ولكن بتوجيه من أستاذنا الفاضل المشرف على هذا العمل –حفظه الله– كان ميدان دراستنا هو **الحديث النّبويّ الشّريف**، وقد وجدنا في توجيهه لنا الرّأي السّديد، والحكمة البالغة، فقِصر باعنا، وقلّة أدواتنا، وكثرة عثراتنا، تحول بيننا وبين ما نريد، لأنّ قداسة القرآن الكريم لا تقبل الخلط، والغلط فيه، ولا الأخذ ولا الرّد، ثمّ إنّنا بدراستنا للحديث النّبويّ الشريف قد وجدنا ضالّتنا التي كنّا ننشدها، إذ لا نعدم الفضل والشّرف في ذلك، لأنّ كلام النّبيّ ﷺ، أجلّ الكلام بعد كلام الله تعالى، وقد حوى صنوف البلاغة، وألوان الجمال والفصاحة، فكانت أحاديثه من أبرز مظاهر عظمته، وأجلى دلائل نبوّته، وإشادةُ وثناء كلّ مادح ومعجب ببلاغته ﷺ قاصرةٌ على وصف ما كان عليه من فصل القول، وبدائع الحكم، وجوامع الكلم، فبلاغته ﷺ من صنع الله فهي تدبير إلهيّ، لذلك آثرنا أن ندرس كلامه ﷺ لنكشف عن أسرار بلاغته، ونتذوّق من عذب معانيه، فكان بحثنا مرتكزا على التّحليل البلاغيّ، متّخذا من كتاب الأربعين في مناقب أمّهات المؤمنين مادّته، فعُنون بـ : **"البناء البلاغيّ في أحاديث كتاب الأربعين في مناقب أمّهات المؤمنين لِابن عساكر"** واختيارنا لهذا الموضوع كان إيمانا منّا بأنّه من أجلّ ما يَصرف طالب العلم فيه وقته، وجهده، لأنّه مرتبط بكلام خير البشر، الذي لا ينطق عن الهوى، فهو أعظم ما صُرفت فيه الأعمار بعد كلام الله تعالى –ثمّ محاولةً منّا لإثبات ما اختُصّ به النّبيّ ﷺ من بلاغة تؤكّد بأنّها مدد إلهي يفوق القدرة البشرية، ويُيسر على النّبيّ ﷺ بعضا من كبد الدّعوة.

وتنبع أهمية هذا الموضوع من أهمية مادّته، فمجال البحث هو الحديث النّبويّ الشّريف، إذ إنّ الدلالة على مقاصد الأحاديث ومراميها، هي مجلبة للأجر العظيم، والثواب الجزيل، إضافة إلى أنّ الدراسة هذه تبرز الجوانب الجمالية في الخطاب النبوي، وتؤكّد أن الأحاديث النّبويّة فيها ميزة خاصة تجذب إليها النّفوس وتسحر الألباب.

وقد شرعنا في تجسيد فكرة البحث من خلال محاولة تسديد سهام الإجابة على الإشكالية التي أحاطت بالبحث كالتّالي :

– ما مدى تعاضد الفنون البلاغية، وتناسقها في تشكيل البناء البلاغيّ في أحاديثه ﷺ ؟

وقد تفرعت عن هذه الإشكالية أسئلة أخرى راودت عقولنا وهي كالآتي :

– ما هي مختلف أساليب البلاغة وأفانينها التي كان النّبيّ ﷺ يستخدمها في كلامه، والتي شهدت عليها أحاديث الكتاب ؟

– أقتصر كلام النّبيّ ﷺ على الاهتمام بالشّقّ المعنوي فقط، على حساب جمال اللّفظ وعذوبته، أم أنّه جمع الاثنين معا ؟

– ما هي أبرز السّمات البلاغية التي تميّز بها كلامه ﷺ من خلال ما ورد في أحاديثه ؟

وفي الإجابة عن هذه التّساؤلات، اعتمدنا في بحثنا على المنهج التّحليليّ، وذلك حسب طبيعة الموضوع التي تقتضيه، وقصد الإحاطة بأهمّ جوانبه.

ولتحقيق الغايات السّالفة الذكر، قسّمنا بحثنا هذا إلى أربعة فصول، ومدخل، أمّا **المدخل** فقدمنا فيه ضبطا كلّيا للمفاهيم الّتي تتعلّق بـ : البلاغة، علم المعاني، علم البيان، علم البديع،كما ذكرنا مباحث هذه العلوم وأقسامها موضوعاتها.

وجاء **الفصل الأوّل** معنونا بـ : "**بين يديّ كتاب الأربعين في مناقب أمّهات المؤمنين**" عرضنا فيه ترجمة لصاحب الكتاب بدءًا من اسمه، ونسبه، وانتهاءً بوفاته، وجنازته، ثم أردفنا ذلك بالتّعريف بالكتاب، وذكر سبب تأليفه ومنهج المؤلّف فيه، وكذا نسخة الكتاب وتحقيقها، وأخيرا تحدثنا في المبحث الثّالث من هذا الفصل عن بلاغة النّبيّ ﷺ.

وأمّا **الفصل الثّاني** المعنونُ بـ : "**بناء أعمدة المعاني في أحاديث الكتاب**" فقد تناولنا فيه أساليب علم المعاني كالخبر، والإنشاء، والتقديم والتأخير، والفصل والوصل، وأسلوب القصر، ثم حلّلنا شواهد هذه الفنون الواردة في أحاديث كتاب الأربعين، وذلك بعد أن أقدمنا على تعريف كلّ أسلوب وما يتعلّق به من أغراض وأضرب، أو تحديد لأقسامه، أو عرض لمواطنه، أو تبيين لأنواعه.

وأمّا **الفصل الثّالث** المعنون بـ : "**بناء أعمدة البيان في أحاديث الكتاب**" فقد حوى صنوف الصّور البيانية التي وردت في أحاديث الكتاب من تشبيه، واستعارة وكناية، وذلك من خلال وضع تعريفات لهذه الفنون، إضافة إلى تحديد أقسام كلّ فنّ منها، ثمّ تحليل شواهد هذه الفنون الواردة في الأحاديث.

وأما **الفصل الرابع** الموسوم بـ : **"بناء نقوش البديع في أحاديث الكتاب"** فقد قُسم إلى مبحثين أوّلهما خاصّ بالمحسّنات المعنوية، وقد تطرقنا فيه إلى أقسام تلك المحسّنات المعنوية الموجودة في أحاديث الكتاب، فتناولنا الطّباق، والمقابلة، وأسلوب الحكيم تعريفا، ثم تحليلا للشواهد، وأمّا المبحث الثاني الخاص بالمحسّنات اللفظية فأدرج فيه كل من فنّ الجناس، وفنّ السّجع، وذلك حسب ما ورد في الأحاديث من الشّواهد التي تمّ تحليلها بعد أن أوردنا تعريفا لهاته الفنون، وذكرا لأقسامها.

وقد أوردنا في قافية البحث **خاتمة**، جمعت خلاصة الأفكار والنّتائج التي توصّلنا إليها في موضوعنا، متبوعة **بملحق** وهو **"أحاديث كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين"** والّتي اعتمدنا عليها في دراستنا، ثم أوردنا فهرسة لموضوعات البحث.

وقد ساعد في استواء بحثنا على ساقيه، المنهل العذب من معين أمّات الكتب، فالمصدر الأساس المعتمد في هذا البحث هو : **"كتاب الأربعين في مناقب أمّهات المؤمنين"** لفخر الدّين أبو منصور عبد الرّحمن المعروف بابن عساكر، إضافة إلى اعتمادنا على كتب أخرى نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : **"دلائل الإعجاز"** لعبد القاهر الجرجاني، **"مفتاح العلوم"** للسّكاكي، **"الإيضاح في علوم البلاغة"** للخطيب القزّويني، **"في البلاغة العربية"** لعبد العزيز عتيق، **"مدخل إلى البلاغة العربية"** ليوسف أبي العدوس.

ومن الصعوبات التي واجهتنا في بحثنا، ما يتعلق بمادّة البحث، والّتي تحتاج الدقّة المتناهية، لاتّصالها بحديث رسول ﷺ، ممّا دفعنا إلى العودة إلى الشّروح، ومراجعة آراء علماء الحديث فيها، ليتسنى لنا تحليلها على الوجه الأنسب والأليق، فكانت دراستنا للأحاديث محاطة بمحاذير شديدة، إضافة إلى ذلك وجدنا ندرة في المصادر التي تدرس الأحاديث النّبويّة دراسة بلاغية، فحتى شرّاح الحديث النّبويّ لم يُعنَوا بالجانب البلاغيّ فيه، بخلاف كتب التّفسير التي عَنيت بعضها بإظهار الأسرار البلاغية في كتاب الله جلّ جلاله.

ولا يفوتنا أن نشير إلى بعض الدّراسات السّابقة التي تناولت موضوع البناء البلاغيّ، إمّا في القرآن الكريم، وإمّا في الحديث، وإمّا في الشعر، وهي كالتالي :

-دراسة قامت بها الباحثة : خديجة محمد أحمد البنّاني، بعنوان : **"سورة النّساء دراسة بلاغية تحليلية"**، ونالت بها درجة الدكتوراه من جامعة أمّ القرى، سنة 2001م.

-دراسة قام بها الباحث : خالد عبد العزيز الزّويع، بعنوان : **"البلاغة النّبويّة في الأربعين النووية"**، ونال بها درجة الماجستير من جامعة أم درمان، سنة 2009م.

-دراسة قام بها الباحث : ناصر بن دخيل الله بن فالح السّعيدي، بعنوان : **"البناء البلاغيّ في شعر علقمة ابن عبدة الفحل"**، ونال بها درجة الماجستير من جامعة أمّ القرى، سنة 2000م.

هذا وإن كانت سهام دراستنا هذه قد قاربت الصّواب فمن فضل الله وكرمه وتوفيقه، وإن جانبته وزلّت بالخطأ، فمن أنفسنا وضعفنا وتقصيرنا، واللهَ نسأل العفو والغفران.

مدخل : بين يديّ البناء البلاغيّ :

أوّلا : تعريف البلاغة.

ثانيا : أركان علم البلاغة.

- أ- علم المعاني.
- ب- علم البيان.
- ت- علم البديع.

تمهيد :

إنّ من أرقى العلوم وأشرفها "علم البلاغة " كيف لا وقد تمخض عن دراسة أعظم كتاب عرفته البشريّة (القرآن الكريم)، فكان دستورها ومنهجها الذي لا تحيد عنه، إذ وَجد فيه العرب قبل ألف وأربعمائة عام أسلوبا مغايرا لأساليبهم، وبلاغة لا يضاهيها كلام، وفصاحة لا يناظرها قول البشر، فتحدّى بذلك بلاغتهم، ووجدوا فيه إعجازا أرادوا معرفة أصوله، ومجازا وإيجازا حيّر عقولهم وجعلهم يبحثون عن حقيقته وأسراره، وبهذا كان القرآن الكريم حافزا للدّراسات البلاغية، وموضوعا لها، من أجل حياة هذا الدّين وكشف ضَلال أعدائه.

أوّلا : تعريف البلاغة :

أ– لغة :

كلمة البلاغة، هي من الكلمات التي شاع استعمالها في كتب الأدباء، وهي في القاموس المحيط للفيروز آبادي (ت817هـ) بمعنى الوصول حيث يقول : "بَلَغَ المكَانَ بُلُوغًا : وَصَلَ إِلَيْهِ، والبَلْغُ : الفَصِيحُ البَلِيغُ، يَبْلُغُ بِعِبَارَتِهِ كُنْهَ ضَمِيرِهِ"[1].

وفي تعريف لغويّ آخر يقول ابن الأثير (ت587هـ) : "أَمَا البَلَاغَةَ فَإِنَّ أَصْلَهَا فِي وَضْعِ اللَّغَةِ مِنَ الوُصُولِ وَالِانْتِهَاءِ يُقَالُ : بَلَغْتُ المكَانَ إِذَا انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، وَمَبْلَغُ الشَّيْءِ مُنْتَهَاهُ، وَسُمِّيَ الكَلَامُ بَلِيغًا مِنَ ذَلِكَ، أَيْ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ الأَوْصَافَ اللَّفْظِيَةَ وَالمعْنَوِيَةَ"[2].

من التّعريفين نجد أنّ البلاغة تعني البلوغ والوصول إلى الشيء.

ب– اصطلاحا :

أورد أحمد مطلوب في كتابه (أساليب بلاغيّة) تعريفا للبلاغة نقلا عن أبي هلال العسكري (ت 395هـ)، حيث يقول عن البلاغة : "كلّ ما تبلغ به قلب السّامع، وتمكّنه في نفسه كتمكّنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن".[3]

من خلال التّعريف، يرى أبو هلال العسكري أنّ البلاغة تشمل كل ضرب من ضروب التّعبير الّتي يصل بها

[1] – القاموس المحيط : الفيروز آبادي مجد الدّين محمّد بن يعقوب، تح : أنس محمد الشّامي وزكريّاء جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، دط، 2008م، مادة [بَلَغَ]، ص157–158.

[2] – المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر : ضياء الدّين ابن الأثير، دط، دت، دار نهضة مصر للطبع والنّشر، القاهرة، ج1، ص94.

[3] –ينظر : أساليب بلاغية : أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980م ، ص55.

المتكلم إلى قلب السّامع، بحيث يستقرّ المعنى الذي يقصده المتكلم في قلب السّامع، ويترك أثرا في نفسه كاستقراره في قلب المتكلّم، بالأثر نفسه، وبصورة مقبولة ومعرض حسن.

أمّا الخطيب القزويني(ت739هـ) فقد ذكر في كتابه (الإيضاح في علوم البلاغة) أنّ البلاغة تقع صفة للكلام والمتكلّم فعرّف بلاغة الكلام وبلاغة المتكلّم بقوله : "**بلاغة الكلام** : مطابقته مقتضى الحال مع فصاحته، ومقتضى الحال هو الاعتبار المناسب وهو مختلف باختلاف مقامات الكلام، من مقام تنكير ومقام تعريف، وإطلاق وتقييد، وتقديم وتأخير، وغيرها، أمّا **بلاغة المتكلّم** : فهي مَلَكَة يَقتدر بها على تأليف كلام بليغ "[1].

فبلاغة الكلام إذن حسبَه أن يُراعى في الكلام المقامُ الّذي يقال فيه، وما يستدعيه من أساليب بلاغيّة كالذّكر والحذف ؛ والتّقديم والتّأخير ؛ وغيرها، فلا يؤتى مثلا بالتّقديم في موضع التّأخير، ولا بالحذف في موضع الذّكرن ولا بالإطناب في موضع الإيجاز، وما إلى ذلك، بل يكون الكلام مطابقا متناسبا مع ما يوجبه الحال والمخاطب، وأمّا إذا وقعت البلاغة صفة للمتكلم فإنّه يقصد بها قدرته على نظم كلام من إبداعه يكون بليغا وفي أيّ معنى يريد التّعبير عنه.

ومن تعريفات البلاغة أيضا نورد قولهم : "هي تأدية المعنى الجليل واضحا، بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النّفس أثر خلّاب، مع ملائمة كلّ كلام للموطن الّذي يقال فيه، والأشخاص الّذين يخاطبون"[2].

من خلال هذا التعريف يتبين أن البلاغة تعني ؛ تأدية المعنى الجليل واضحا بعيدا عن الغموض والالتباس، في كلام صحيح فصيح يُعبّر عن المعنى، ويترك أثرا خلابا في نفس المخاطب، مع وجود مناسبة بين الكلام والسياق الذي يقال فيه والمخاطبين.

وفي معرض حديثنا عن البلاغة، يجدر بنا أن نمرّ على تعريف علم البلاغة انطلاقا ممّا سبق، فنقول أنّ علم البلاغة ؛ هو ذلك العلم الذي يعرف به كيفية نظم الكلام، فيكون فصيحا مطابقا لمقتضى الحال، ولهذا العلم ثلاثة أركان أساسية يتّكئ عليها، وهي تمثّل أعمدته، وهي : علم المعاني، علم البيان، وعلم البديع.

[1] – ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر الشافعي الدمشقي، تح : إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م ص20-21.

[2] – البلاغة الواضحة (البيان، المعاني، البديع) : علي الجارم ومصطفى أمين، دار المعارف، دط، 1999م، ص8-9.

ثانيا : أركان علم البلاغة :

البلاغة فنّ له أصوله، وعلم له مرتكزاته وأساليبه كما لكلّ علم وفنّ، وهو ينقسم إلى ثلاثة أركان أساسية : فالأوّل ما يُحترز به عن الخطأ في تأدية المعنى، وهو (**علم المعاني**)، والثاني ما يَقي من التّعقيد في المعنى، وهو (**علم البيان**)، والرّكن الثالث يُعرف به وجوه تحسين الكلام، وهو (**علم البديع**)، وسنورد في هذا المقام تعريفا مختصرا لكلّ علم، مع الإشارة إلى موضوعه ومباحثه.

أ– علم المعاني :

لقد كان لشيخ البلاغيّين عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) فضل السّبق إلى وضع أسس هذا العلم، في كتابه (دلائل الإعجاز) من خلال حديثه عن نظرية النّظم والتّفصيل فيها وإشادته بعظم شأن النّظم والإعلاء من قدره حيث يقول: "وقد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن النّظم وتفخيم قدره والتّنويه بذكره، وإجماعهم أن لا فضل مع عدمه، ولا قدر لكلام إذا هو لم يستقم له، ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ ،وبتّهم الحكم بأنّه الّذي لا تمام دونه ولا قوام إلّا به"[1].

1– مفهوم علم المعاني :

1.1.لغة :

جاء في (الصّحاح) للجوهري (ت398هـ) في مادة (عنا) : "عَنَيْتُ بِالْقَوْلِ كَذَا، أَيْ أَرَدْتُ وقَصَدْتُ، ومَعْنَى الكَلَامِ ومَعْنَاتُهُ وَاحِدٌ، تَقُولُ : عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي مَعْنَى كَلَامِهِ، وفِي مَعْنَاةِ كَلَامِهِ، وفِي مَعْنِيِّ كَلَامِهِ : أَيْ فَحْوَاهُ"[2].

وفي تعريف لغوي آخر للفظة (المعاني) نجد ابن منظور (ت 711هـ) في كتابه (لسان العرب) في مادّة (عنا) يقول : "ومَعْنَى كُلِّ شَيْءٍ مِحْنَتُهُ، وحَالُهُ الَّتِي يَصِيرُ إِلَيْهَا أَمْرُهُ، والمِعْنَى والتَّفْسِيرُ والتَّأْوِيلُ وَاحِدٌ، وعَنَيْتُ بِالْقَوْلِ كَذَا، أَرَدْتُ، ومَعْنَى كُلِّ كَلَامٍ ومَعْنَاتُهُ ومَعْنِيَّتُهُ، مَقْصِدُهُ"[3].

وبذلك نستنتج من التعريفين أن المعنى اللّغوي للمعنى، هو القصد من الكلام.

---

[1] – دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد، تح : محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت، ص80.

[2] – الصحاح (تاج اللغة والصحاح العربية) : الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد، تح: محمد محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، دط، 2009 م، ص814.

[3] – لسان العرب : ابن منظور محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري، تح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1999م، ج9، مادة [عَنَا]، ص446.

2.1.اصطلاحا :

لقد تعدّدت تعريفات البلاغيّين لعلم المعاني، إلا أنّها تدور حول معنى واحد، ويعد سراج الدّين أبو يعقوب يوسف بن محمّد السّكاكي (ت 626هـ)، أوّل من أطلق مصطلح علم المعاني على الموضوعات التي سمّاها عبد القاهر الجرجاني بـ : (النظم) أو (معاني النحو)[1]، فنجده في كتابه (مفتاح العلوم) يعرّف علم المعاني بقوله : "علم المعاني هو تتبّع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتّصل بها من الاستحسان وغيره، ليُحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام، على ما يقتضي الحال ذكره"[2].

فعلم المعاني إذا، يختص بتراكيب الكلام وخواصّها، والمقصود بتراكيب الكلام ؛ تراكيب البلغاء دونا عمّن سواهم، فالسّكاكي في تعريفه قد قيّد هذه التّراكيب بتراكيب البلغاء، والعارفين بصياغة الكلام –كما قد ذكرنا– وجعلها مرجعا ومقياسا يُرجع إليه ويُحكم به على الكلام، وأمّا خواص التّراكيب فيقصد بها المعاني التي تسبق إلى الفهم عند سماع ذلك التّركيب، فتكون ملازمة له وخاصّة من خاصّياته دون غيره من التّراكيب، ومثاله ما يسبق إلى الفهم من تركيب : "إنّ زيدا منطلق، إذا سمعته عن العارف بصياغة الكلام، من أن يكون مقصودا به، نفي الشّك أو ردّ الإنكار، أو من نحو : زيد منطلق، من أنّه يلزم مجرد القصد إلى الإخبار"[3]، فطريقة صياغة الكلام وتشكيله من ذكر أو حذف ؛ أو تعريف أو تنكير ؛ أو تأخير أو تقديم ؛ منوطة بما يقتضيه الحال، أي الحال التي وقع فيها ذكر هذا الكلام، والتي تستوجب وجها من أوجه التّراكيب المختلفة.

ومن بين تعريفات علماء البلاغة لعلم المعاني أيضا، تعريف الخطيب القزويني (ت 739هـ) في كتابه (الإيضاح) حيث يقول: "هو علم يعرف به أحوال اللّفظ العربي، التي بها يطابق مقتضى الحال، مع وفائه بغرض بلاغيّ يفهم ضمنا من السّياق وما يحيط به من القرائن"[4]

من خلال التّعريف نجد أن علم المعاني يركز على أمرين : أوّلهما أن الكلام لا يكون بليغا إلّا إذا طابق مقتضى الحال، من مراعاة لأحوال السّامعين، والمواطن التي يقال فيها، وثانيهما هو المعاني المتضمَّنة في القول، لا في ظاهره وإنّما يُتوصل إليها من خلال القرائن.

---

[1] – البلاغة والتطبيق : أحمد مطلوب وحسن البصير، نشر وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جمهورية العراق، ط2، 1999م، ص91.

[2] – مفتاح العلوم : السكاكي سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي الحنفي، تح : نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987م، ص161.

[3] – المرجع نفسه، ص162.

[4] – الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني، ص4.

2– موضوعه :

"إنّ موضوع علم المعاني هو اللّفظ العربي من حيث إفادته المعاني الثّواني، الّتي هي الأغراض المقصودة للمتكلم، من جعل الكلام مشتملا على تلك اللّطائف، والخصوصيات الّتي بها يطابق مقتضى الحال"[1].

3– مباحثه :

أمّا مباحثه، فقد حدّدها علماء البلاغة وحصروها في ثمانية أبواب كالتالي :

- الخبر والطلب.
- الإسناد الخبري باختلاف السامع من حيث خلوّ الذّهن، أو الشّك، أو الإنكار.
- الإسناد، وبيان أحوال المسند إليه، والمسند.
- الفعل ومتعلّقاته.
- الفصل والوصل.
- الإيجاز والإطناب.
- القصر وأنواعه وطرقه.
- الطّلب.[2]

ب– علم البيان :

ترتبط البلاغة العربية في الأذهان عند ذكرها بعلومها الثّلاثة المعروفة لنا اليوم، وهي : (علم المعاني، علم البيان، وعلم البديع)، وقد مرّت البلاغة بتاريخ طويل من التّطور، حتّى انتهت إلى من انتهت إليه، وكانت مباحث علومها مختلطة بعضها مع ببعض، وكانوا يطلقون عليها (البيان)، لكن وبفضل جهود العلماء السّابقين ولأسباب وظروف شتَّى، انفرد كل علم بمباحثه ونظريّاته، ومن هذه العلوم علم البيان، الذي يعدّ أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت211هـ) أوّلَ من دوّن مسائله في كتابه (مجاز القرآن)، وتبعه الجاحظ (ت255هـ)، وابن المعتز(ت296)، وقدامى(ت337)، وأبو هلال العسكري(ت395) ، وما زال ينمو علم البيان ويتطوّر حتى وصل إلى الإمام عبد الجرجاني الذي أحكم أساسه، وشيّد بناءه، ورتّب قواعده.

1– مفهوم علم البيان :

1.1.لغة :

جاء في القاموس المحيط : "البَيَانُ لُغَةً مِنْ بَانَ بَيَانًا، اتَّضَحَ فَهُوَ بَيِّنٌ، جَمْعُهُ : أَبْيِنَاءُ، وَبِنْتُهُ (بِالْكَسْرِ) وبَيَّنْتُهُ،

[1] – جواهر البلاغة : أحمد الهاشمي، تح : يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص46–47.

[2] –ينظر : علم المعاني : عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2009م، ص29.

وَتَبَيَّنْتُهُ، وَأَبَنْتُهُ، وَاسْتَبَنْتُهُ : أَوْضَحْتُهُ، وَعَرَّفْتُهُ، وَالبَيَانُ : الإِفْصَاحُ مَعَ ذَكَاءٍ"[1].

2.1.اصطلاحا :

"هو علم يبحث في الطّرق المختلفة للتّعبير عن المعنى الواحد"[2]، وفي تعريف آخر هو : "أصول، وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد، بطرق يختلف بعضها عن بعض في وضوح الدّلالة على نفس ذلك المعنى، ولابدّ من اعتبار المطابقة لمقتضى الحال دائما"[3].

من خلال التّعريف الأول يتضح أن البيان اسم لكل ما يَكشف عن المعنى ويُظهره جليّا أيًّا كانت الطّريقة، وفي التّعريف الثاني : بيان بأنَّ من عَرَف تلك الأصول وأجادها، استطاع أن يكشف عن المعنى الواحد بصور متفاوتة، وتراكيب مختلفة في درجة الوضوح، وبالتّالي فإن الملمَّ بفن البيان يتسنّى له الاختيار من طرق التعبير، وفنون الكلام ما هو أليق بمقصده وأقرب لغرضه، في قالب يشفّ عن ذلك المقصد من أجل التّأثير في نفوس السّامعين وسحرهم ببيانه، وفي فضل البيان يقول سيد البلغاء وأفصحهم رسول الله ﷺ : **(وإنَّ من البيانِ لسحرًا)**[4].

2- موضوعه :

موضوع هذا العلم هو الألفاظ العربية من حيث المجاز، والكناية، والطّرق المختلفة لتصوير المعنى.

ت- علم البديع :

1- مفهوم علم البديع :

1.1.لغة :

ورد في لسان العرب في مادة (بدع) : "بَدَعَ الشَّيْءَ، يَبْدَعُهُ بَدْعًا، وابْتَدَعَهُ : أَنْشَأَهُ وبَدَأَهُ، ...، والبِدْعُ : الشَّيءُ الذِي يَكُونُ أَوَّلًا والبَدِيعُ : المُبْدِعُ، وأَبْدَعْتُ الشَّيءَ : اخْتَرَعْتُهُ لا عَلَى مِثَالٍ، والبَدِيعُ مِن أَسْمَاءِ الله تَعَالى لِإِبْدَاعِهِ الأَشْيَاءَ وإِحْدَاثِهِ إِيَاهَا، قال ﷻ : ﴿ **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ [البقرة/117]، أَيْ خَالِقُهَا ومُبْدِعُهَا"[5]

فالبديع إذا هو الخلق والبدء والإبداع على غير مثال سابق يحتذى به، وإنّما يكون اختراعا لمعدوم.

---

[1] - ينظر : القاموس المحيط :الفيروز آبادي، مادة [بين]، ص180-179.

[2] - الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني، ص5.

[3] - جواهر البلاغة : أحمد الهاشمي، ص216.

[4] - حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب إن من البيان لسحرا، رقم (5767).

[5] - لسان العرب : ابن منظور، ج1، مادة [بَدَعَ]، ص341-342.

2.1.اصطلاحا :

يعرّفه الخطيب القزويني (739هـ) في كتابه (التلخيص في علوم البلاغة) قائلا : "هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة"[1]، ومنه يكون مصبّ اهتمام علم البديع في تحسين الكلام، سواء كان التّحسين لفظيا أو معنويا، مع مراعاة مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وخلوّه من التّعقيد الدّلالي، بأن يكون واضح الدّلالة، وسمّي بديعا لأنّه لم يكن معروفا قبل وضعه [2]، ولكونه باحثا عن الأمور المستغربة[3].

ونورد تعريفا آخر لعلم البديع، حيث يقول عنه ابن خلدون (ت808هـ) في مقدمته : "هو تزين الكلام وتحسينه بنوع من التنميق"[4].

2- أقسام علم البديع :

جاء في كتاب (الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون) للأخضري (ت953هـ) -وهو نظم شعري ألمّ فيه بعلوم البلاغة الثّلاثة- حديثه عن أضرب البديع بعد تعريفه إيّاه، حيث يقول :

علم به وجوه تحسين الكلام تعرف بعد رعي سابق المرام
ثم وجوه حسنه ضربـــــان بحسب الألفاظ والمعـــــان[5]

فوجوه تحسين الكلام إمّا خاصة بالمعاني أو هي خاصّة بتحسين الألفاظ، ومنزلة المحسّنات المعنوية من البديع، بمنزلة علم المعاني من البلاغة، لأنّ الغرض الأساسيّ من التّحسين هو المعاني، وإنّما الألفاظ توابع وقوالب لها، كما يرى ذلك التفتازاني (ت793هـ) في كتابه (المطول في شرح تلخيص مفتاح العلوم)، حيث يقول معقبا على تعريف القزويني لعلم البديع :

"ووجوه تحسين الكلام [ضربان : معنوي] أي راجع إلى تحسين المعنى، بحسب العراقة والأصالة، وإن كان بعضها لا يخلو عن تحسين اللفظ، [ولفظي] راجع إلى اللفظ كذلك، وبدأ بالمعنوي -يقصد الخطيب القزويني في

---

[1] - التلخيص في علوم البلاغة : الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن ، تح : عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط2، 1932م، ص347.

[2] – الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني، ص5.

[3] – الحاشية على المطول (شرح تلخيص المفتاح) : الشريف الجرجاني أبو الحسن علي بن محمد، تح : رشيد أعرضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007م، ص410.

[4] – المقدمة : ابن خلدون ولي الدين عبد الرحمن، تح : عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، دمشق، سورية، ط1، 2004م، ج2، ص374.

[5] – الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون : عبد الرحمن بن صغير الأخضري، تح : محمد بن عبد العزيز نصيف، مركز البصائر للبحث العلمي، المدينة المنورة، دط، دت، ص41.

تعريفه ذكر الضرب المعنوي أولا- لأنّ المقصود الأصليّ والغرض الأوليّ هو المعاني، والألفاظ توابع وقوالب لها"[1].

ومن أساليب البديع التي تدخل ضمن المحسّنات المعنوية أو اللّفظية نذكر[2] :

-الجناس.

-الطباق.

-السجع.

-المقابلة.

-التورية.

[1] – المطول على التلخيص : سعد الدين التفتازاني، مطبعة سنده، إيران، دط، 1310هـ، ص640-641.

[2] – الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني، ص6.

الفصل الأوّل : بين يديّ كتاب الأربعين فيمناقب

المبحث الأوّل : التعريف بابن عساكر.

- المطلب الأول : حياة ابن عساكر.
- المطلب الثاني : شيوخه وتلاميذه.
- المطلب الثالث : وفاته وجنازته.

المبحث الثّاني : التعريف بالكتاب.

- المطلب الأوّل : اسم الكتاب وسبب تأليفه.
- المطلب الثّاني : منهج المؤلّف فيه.
- المطلب الثّالث : نسخة الكتاب ومنهج التحقيق فيه.

المبحث الثّالث : بلاغة النّبيّ ﷺ.

- المطلب الأوّل : القيمة البلاغية للحديث النّبويّ.
- المطلب الثّاني : أسباب البلاغة النّبويّة.
- المطلب الثّالث : سمات البلاغة النّبويّة.

المبحث الأوّل : التعريف بابن عساكر :

المطلب الأوّل : حياة ابن عساكر :

أوّلا : اسمه ونسبه :

هو الشّيخ الإمام العالم القدوة المفتي، شيخ الشّافعية، فخر الدّين أبو منصور عبد الرّحمن، بن محمد، بن الحسن، بن هبة الله، بن عبد الله، الدّمشقي، الشّافعي،[1] المعروف بابن عساكر، وليس في أجداده من اسمه عساكر، وإنّما هي تسمية اشتهرت عليهم في بيتهم، ولعلّه من قبل أمّهات بعضهم،[2] ولد رحمه الله في رجب سنة خمسين وخمسمائة هجرية[3].

ثانيا : نشأته وطلبه للعلم وتعليمه :

أ– نشأته :

نشأ ابن عساكر في أسرة مسلمه زكّية، تحدث عنها الفقيه المؤرخ أبو شامة المقدسي في كتابه (ذيل الروضتين) واصفا إيّاها بقوله : "وهذا البيت بيت جليل كبير من الدّمشقيين، كثير الفضلاء والحفّاظ والأمناء، جمع هذا البيت رئاسة الدّين والدّنيا، وأجلّهم في زماننا دينا وعلما هذا، فخر الدّين ابن عساكر، وفي القرن الذي قبله عمّاه الصائن هبة الله، والحافظ أبو القاسم، ثم ابن عمّه الحافظ أبو محمد بن أبي القاسم، وابنه العماد بن القاسم، وأخوه الفخر تاج الأمناء أحمد، وزين الأمناء حسن، وأمّ الفخر أسماء بنت محمد بن الحسن بن طاهر القرشيّة، المعروف والدها بأبي البركات بن الرّان، وهو الذي جدّد عمارة مسجد القدم في سنة (517هـ)، وبها قبره وقبر الواعظ أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الرّان، وبهذا السبب كان الشّيخ الفخر كثيرا ما يكون زائرا لمسجد القدم لأنّ به قبر جدّه لأمّه ومن سلف من بيته، ودُفن به أيضا أخوه تاج الأمناء، وأسماء المذكورة هي أخت آمنة أمّ القاضي محي الدّين محمد بن علي بن زكي فهو ابن خالته"[4].

ب– طلبه للعلم :

قال أبو شامة (ت655هـ) متحدثا عن الشّيخ وطلبه للعلم : "اهتمّ فخر الدّين رحمه الله منذ صغره بالعلم، فاشتغل بالفقه على شيخه قطب الدّين مسعود النيسابوري حتى برع في ذلك، وانفرد بعلم الفتوى حتى كانت الفتاوى تُرسل إليه من الأقطار، وكان عند شيخه كالولد وزوَّجه ابنته، فأولدها ابنا سمّاه (قطب الدين مسعود)، ولو عاش

---

[1] – سير أعلام النبلاء : شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، تح : بشار عواد معروف ومحيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط11، 1996م، ج22، ص187.

[2] – الذيل على الروضتين : أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي ، تح : عزت العطار الحسيني، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1974م، ص136.

[3] – الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل : أبو اليمن مجير الدين الحنبلي، د ط، 1968م، المطبعة الجيدرية، ج2، ص103.

[4] – الذيل على روضتين : أبو شامة المقدسي، ص136.

خلفَ جده ووالده، لأنّه كان مهتما بالعلم وتحصيله وبرز فيه، لكنّه توفي قبل والده بزمن"[1].

ت- المدارس التي درس بها :

1- المدرسة الجاروخيّة :

هي داخل بابيّ الفرج والفراديس، لصيقة الإقباليّة الحنفيّة شماليّ الجامع الأمويّ والظاهريّة الجوانيّة، قال ابن شداد : "بانيها جاروخ التركماني يلقب بسيف الدين"[2].

وقد وُلّي فخر الدّين التدريس بها مكان شيخه قطب الدّين، وهي لها قاعتان، إحداهما : الّتي كان هو ساكنها وبها توفي، وهي الّتي لها باب في الحائط الغربي من إيوان المدرسة، والأخرى : لزيقها بابها من الزّقاق لزيق باب المدرسة، كان يسكنها ولده المتوفّ ووقّفها بعد نسله على المدرسة[3].

2- المدرسة الصّلاحيّة :

يقال لها الناصرية، بانيها نور الدّين محمود بن زنكي الشّهيد، ونُسبت إلى الملك النّاصر صلاح الدّين فاتح بيت المقدس[4]، وكان توليه التّدريس بالصّلاحيّة في القدس بعد تدريسه في الجاروخيّة، وبذلك وُلّي التّدريس في بلدين متباعدين، يقيم بالقدس أشهرا وبدمشق أشهرا[5]، وفي هذا الشّأن يقول السّبكي في حكم من وُلّي التّدريس في بلدين متباعدين في كتاب (طبقات الشافعية الكبرى) : "وقد وقع في زماننا الترافع في رجل وُلّي التّدريس في بلدين متباعدين : حلب ودمشق، وأفتى جماعة من أهل عصرنا بالجواز، على أن يستنب فيما غاب عنها[6].

3- المدرسة التّقويّة :

هي من أجلّ مدارس دمشق، داخل باب الفراديس، شماليّ الجامع، شرقيّ الظاهريّة والإقباليّتين، بانيها في سنة أربع وسبعين وخمسمائة الملك المظفر تقي الدّين عمر بن شاهنشاه بن أيوب[7]،وكان تدريس الشّيخ ابن عساكر بها بعد أن ولاّه الملك العادل بن أيوب، وكان عنده أعيان الفضلاء[8]، حتّى كانت تسمى نظامية الشّام، وفي زمن

---

[1] – الذيل على الروضتين : أبو شامة المقدسي، ص136-137.

[2] – الدارس في تاريخ المدارس : عبد القادر بن محمد النعيمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1990م، ج1، ص169.

[3] – الذيل على الروضتين : أبو شامة المقدسي، ص137.

[4] – الدارس في تاريخ المدارس : النعيمي، ص250.

[5] – شذرات الذهب في أخبار من ذهب : أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، مكتبة القدسي، مصر، دط، 1351هـ، ج5، ص93.

[6] – طبقات الشافعية الكبرى : تاج الدين أبو نصر السبكي، تح : عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، دط، دت، ج 8، ص 179.

[7] – الدارس في تاريخ المدارس : النعيمي، ص162-163.

[8] – البداية والنهاية : عماد الدين بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تح : عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، الجيزة، مصر، ط1، 1998م، ج17، ص121.

خلافة الملك المظفّر بعد وفاة والده العادل، أخذ من الشّيخ ابن عساكر تدريسه بالمدرسة الصّلاحيّة والتّقويّة، وفي هذا يقول أبو شامة : "وكان ابنه المعظم حنفيّ المذهب، وكان في نفسه من الشّيخ الفخر لما أنكر عليه إظهار الخمور وتضمينها، فتركه حتى حجّ في ولايته فأخذ منه المدرسة التّقويّة، وأُخذت منه قبيل ذلك النّاصريّة الّتي بالقدس، ولم يبق بيده إلّا المدرسة الجاروخيّة"[1].

إضافة إلى توليه التّدريس في مدارس أخرى نذكر منها : المدرسة النورية، المدرسة العذراوية، وغيرها.

ثالثا : أخلاقه وصفاته :

كان الشّيخ فخر الدّين من الّذين لا يملّ النّظر إليهم لحسن سمته، واقتصاده في لباسه، ولطفه، ونور وجهه، وكان لا يخلو لسانه من ذكر الله تعالى في قيامه وقعوده ومشيه[2].

ومما اشتهر به الشّيخ أيضا من صفات، كما نقله الإمام الذّهبي عن تلامذة الشّيخ، كقول عمر بن الحاجب عن شيخه : "هو أحد الأئمة المبرزين، بل واحدهم فضلا وقدرا، شيخ الشّافعية، كان زاهدا، ثقة، مجتهدا، غزير الدّمعة، حسن الأخلاق، كثير التّواضع، قليل التّعصب، سلك طريق أهل اليقين، وكان أكثر أوقاته في بيته في الجامع ينشر العلم

ومما نقله الذّهبي أيضا، قول القوصي، إذ يقول عن شيخه : "كان كثير البكاء، سريع الدّموع، كثير الورع والخشوع، وافر التّواضع والخضوع، كثير التّهجد، قليل الهجوع، مبرزا في علميّ الأصول والفروع، وعليه تفقّهت وعرضت عليه (الخلاصة) للغزالي"[3].

وكان رحمه الله رقيق القلب، سريع الدّمعة، روى عنه تلميذه أبو شامة ما كان منه عند جلوسه للتّسميع، إذ يقول : "وكنت أشاهده في أثناء قراءة تلك الأحاديث عليه، يبكي عند سماع ما يبكي منها، ويردّد مواضع المواعظ منها، نحو الشّعر المنسوب إلى قسّ بن ساعدة :

في الذّاهبيـــــنَ الأولـ ـينَ من القرون لنا بصـــائرُ
لما رأيت مـــــــواردًا للموت ليس لها مصـــادرُ
ورأيت قــومي بعدها تمضي الأصاغرُ والأكابــرُ
أيقنت أنّي لا محـــــا لةَ حيث صار القومُ صائرُ

[1] – الذيل على الروضتين : أبو شامة المقدسي، ص138.
[2] – المرجع نفسه، ص137.
[3] – سير أعلام النبلاء : الذهبي، ج22، ص190.

فكان رحمه الله يرددها ويبكي"[1].

"وكان إماما صالحا، قانتا، عابدا ورعا، كثير الذّكر، قيل : كان لا يخلو لسانه عن ذكر الله، وأُريد على القضاء فامتنع، طلبه الملك العادل ليلا، وبالغ في استعطافه، وألحّ عليه، فقال : حتى استخير الله، وخرج فقام ليلته في الجامع يتضرّع ويبكي إلى الفجر، فلمّا صلى الصّبح، وطلعت الشّمس، أتاه جماعة من جهة السّلطة، فأصرّ على الامتناع وجهّز أهله للسّفر، وخرجت المحابر إلى ناحية حلب، فردَّها السلطان، ورقَّ عليه، وأعفاه، وقال : عيّن غيرك، فعيَّن له ابن الحرستاني، واتّفق أهل عصره على تعظيمه في العقل والدين"[2].

المطلب الثّاني : شيوخه وتلاميذه :

أوّلا : شيوخه :

للشّيخ ابن عساكر –رحمه الله– شيوخ كثر نذكر منهم[3] :

- عمّه الصّائن : هبة الله بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الدّمشقي الحافظ.
- عمّه الحافظ : علي بن الحسن، بن هبة الله الشّافعي.
- القطب النيسابوريّ، أبو المعالي مسعود بن عروة، وتزوّج بابنته.
- عبد الرحمن بن أبي الحسن الدّاراني.
- حسن بن تميم الزّيّات.

ثانيا : تلاميذه :

من أبرز تلاميذه [4] :

- عبد الرّحمان بن إسماعيل المعروف بأبي شامة المقدسيّ.
- عمر بن الحاجب.
- إسماعيل بن حامد القوصيّ.
- زكي الدين البرزاليّ.
- ضياء الدّين محمّد بن عبد الواحد المقدسيّ.

---

[1] – الذيل على الروضتين : أبو شامة المقدسي، ص137.

[2] – طبقات الشافعية الكبرى : السبكي، ص178.

[3] – الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : أبو منصور عبد الرحمن ابن عساكر، تح : محمد مطيع الحافظ وغزوة بدير، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1986م، ص14–15.

[4] – المصدر نفسه، ص16–17.

المطلب الثّالث : وفاته وجنازته :

أوّلا : وفاته :

"وكانت وفاته يوم الأربعاء عاشر رجب، ودفن على الشّرف القبلي عند مقابر الصوفيّة، وكانت له جنازة عظيمة، وقبره ظاهر يزار، وصلى عليه الملك العزيز بن العادل، ولم يتخلف عن جنازته إلّا القليل[1]، وقد نقل أبو شامة خبر وفاة الشّيخ ممّن حضره إذ يقول : صلى الظهر يوم توفّيّ، ثم جعل يسأل عن العصر، فقيل له : لم يقرب وقتها، فدعى بماء ثم تشهّد وهو جالس وقال : رضيت بالله ربّا، وبالإسلام دينا، وبمحمّد ﷺ نبيّا، لقّنني الله حجّتي وأقال عثرتي، ورحم غربتي، وآنس وحدتي، ثم قال : وعليكم السلام، فعلمنا أنّه حضرته الملائكة حينئذ وسلمّوا عليه، ثم انقلب على قفاه عقيب قوله (وعليكم السلام) ميتا –رحمه الله تعالى– وغسّله فخر الدّين بن المالكي، ومعه ابن أخيه عبد الوهاب بن زين الأمناء وغيره"[2].

ثانيا : جنازته :

يقول أبو شامة عن جنازته : "احتشد النّاس من الغد لجنازته وخرجوا به من المدرسة الجاروخيّة على باب البريد إلى الجامع، فإذا النّاس في الجامع كهيئتهم يوم الجمعة، فوضعت الجنازة ملاصقة الحائط القبليّ قريبا من اللازوردة، ونقدّم للصّلاة عليه أخوه لأبويه، أبو البركات الحسن بن محمّد، المعروف بزين الأمناء، ثمّ خرجوا بالجنازة إلى ناحية الميدان الأخضر بالشّرف القبليّ، وقد امتلأت الطّرق بالنّاس، ومَن الذي قدر على الوصول إلى سريره ؟ ولولا كان الأمير عزّ الدّين أيبك صاحب صلخد، أستاذ الدار المعظم مع أصحابه، وأجناد الملك العزيز بن العادل دائرين حول سريره بالدّبابيس، والعصيّ يمنعون النّاس من قربه لتعذّر وصوله إلى حفرته في يومه، وقبره في مقابر الصّوفيّة على يسار المار مغربا في طريق الشّرف القبليّ مقابل لرأس الميدان الأخضر، قبل الوصول إلى قبر شيخه قطب الدين مسعود النّيسابوريّ بقليل، وجُعل على قبره بلاطة فيها اسمه وتاريخ وفاته يقرأها من كان خارج الشّباك رحمه الله تعالى"[3].

[1] – الذيل على الروضتين : أبو شامة المقدسي، ص139.

[2] – المرجع نفسه، ص139.

[3] – المرجع نفسه، ص139.

المبحث الثاني : التّعريف بكتاب الأربعين في مناقب أمّهات المؤمنين :

المطلب الأوّل: اسم الكتاب وسبب تأليفه :

يقول ابن عساكر في مقدّمة الكتّاب عن تسميته له : "وسمّيته كتاب (**الأربعين في مناقب أمّهات المؤمنين رضي الله عنّهن أجمعين**)"[1]، والكتاب هذا هو متن من متون الأحاديث النّبويّة، ويعدّ أشهر مصنف وضعه الإمام المحدّث الفقيه، فخر الدّين عبد الرّحمن ابن عساكر، وقد كان جَمعه للأربعين حديثا بعد أن شاع التّصنيف على الأربعين، فبدايات التّصنيف على هذا النّهج كان في القرن الثاني للهجرة، وكان أوّل من صنّف فيه أبو عبد الرّحمن عبد الله بن المبارك المروزيّ (ت181هـ)[2]، وقد اختلفت المقاصد والأغراض من وراء هذه التّصانيف، وتعدّدت طرق الجمع والتّرتيب، وتباينت في عدّها وتبويبها، فمنهم من اعتمد على ذكر أحاديث التّوحيد وإثبات الصّفات لله ﷻ للرد والتّمجيد، ومنهم من قصد ذكر أحاديث الأحكام، لما فيها من التّمييز بين الحلال والحرام، ومنهم من اقتصر على ما يتعلق بالعبادات، ويكون سببا لاكتساب القرب والطّاعات،...، ومنهم من قصد إخراج ما صحّ سنده وسلم من الطعن عند الأئمة مورده، ومنهم من كان قصده ومراده إخراج ما على عنده إسناده، ومنهم من أحب تخريج ما طال متنه، وظهر لسامعه حين يسمعه حسنه، إلى غير ذلك من الأنواع التي قصدوها[3].

أما مقصد الشيخ من هذا التصنيف هو سرد السّيرة العطرة لأزواجه ﷺ، وبيان ما ورد في مناقبهنّ رضي الله عنهنّ جميعا.

يقول الشّيخ فخر الدّين ابن عساكر عن رجائه من جمعه لأحاديث كتاب (الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين) : "أما بعد فإنّي لما رأيت جماعة من الأئمة الأجلاء والسّادة العلماء –رحمهم الله– صنّفوا كثيرا من الأربعينات في فنون حسان، ومعان مختلفات، طمعا في الثّواب الموعود على ذلك كما شهدت به الأحاديث وورد في الرّوايات"[4].

فكان رجاؤه كما أشار هو الدّخول في الزّمرة الذين ورد فيهم الخبر المشهور عن النّبي ﷺ في حفظ أربعين حديثا عن أمّته، كما في الحديث الذي رواه بالإسناد أن رسول الله ﷺ يقول : "**مَنْ حَفِظَ عَلَى أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثًا يَنْفَعُهُمَ اللهُ بِهَا، قِيلَ لَهُ : اُدْخُلْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الجَنَّةِ شِئْتَ**"[5] إلا أن هذا الحديث يندرج ضمن الأحاديث الضعيفة

---

[1] – الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص34.

[2] – العلل المتناهية في الأحاديث الواهية : ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، تح : خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983م، ج1، ص128 – الرسالة المستطرفة : محمد بن جعفر بن إدريس الحسيني الكتاني، تح : محمد المنتصر بن محمد الزمزمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط5، 1993م، ص253.

[3] – الأربعين البلدانية : ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت571هـ)، تح : عبده الحاج محمد الحريري، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1994م، ص35-36.

[4] – الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص32.

[5] – المصدر نفسه، ص32.

رغم كثرة طرقه، يقول الإمام النووي عنه : "واتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه"[1].

وقد ذكر الحافظ النّووي (ت676هـ) اتّفاق العلماء على جواز العمل بالحديث الضّعيف في فضائل الأعمال، حيث يقول في كتابه الأذكار : "اعلم أنّه ينبغي لمن بلغه شيء في فضائل الأعمال أن يعمل به ولو مرّة واحدة ليكون من أهله، ولا ينبغي أن يتركه مطلقا، بل يأتي بما تيسّر منه لقول النبي ﷺ في الحديث المتّفق على صحته : **"إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُم** "كما أن العلماء من المحدّثين والفقهاء قالوا : "يجوز ويستحبّ العمل في الفضائل والتّرغيب والتّرهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعا"[2].

ونجد الشّيخ قد اعتمد على القول بالعمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، وما يدل على ذلك قوله : "وهذه الأحاديث وإن كان أئمة الصّنعة تكلّموا في أسانيدها، ولكنّ فضل الله أعظم من ذلك، وقد قال رسول الله ﷺ : **"مَنْ بَلَغُهُ عَنِ الله تعالى شَيءٌ فِيهِ فَضِيلَةٌ فَأَخَذَ بِهِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابَا وَرَجَاءَ ثَوَابِهِ أَتَاهُ الله ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ"**[3]

المطلب الثّاني: منهج المؤلّف فيه :

جمع الشّيخ ابن عساكر في كتابه هذا أربعينا حديثا مروية بأسانيدها، منها ما اعتمد في روايتها على كتب الأحاديث، وأبرزها :

- صحيح البخاري.
- صحيح مسلم.
- دلائل النّبوة للبيهقي.
- سنن أبي داود.
- سنن التّرمذي.
- سنن النّسائي.
- سنن ابن ماجة.
- مسند الإمام أحمد.

---

[1] – الرياض الندية في شرح الأربعين النووية : أبو زكريا محي الدين يحي بن شرف النووي وآخرون، تح : محمد بن حامد بن عبد الوهاب، دار البصيرة، الإسكندرية، دط، 2002م، ص5.

[2] – الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ﷺ محي الدين يحي بن شرف النووي تح : أحمد عبد الله باجور، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر،ط1، 1988م، ص27.

[3] – الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص33-34.

ومن الأحاديث ما رواها مأخوذة شفاهة عن شيوخه منهم :

- الإمام قطب الدّين حجّة الإسلام مسعود بن محمّد بن مسعود النّيسابوريّ.
- عمّه الإمام الحافظ : ثقة الدّين أبو القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله.
- عمّه الإمام العالم الصّائن : أبي الحسن هبة الله بن الحسن الشّافعي.
- الشّيخ الأمين أبو المعالي عبد الله بن عبد الرّحمن بن صابر.
- الشّيخ الإمام الزّاهد صدر الدّين أبو القاسم عبد الرّحيم بن إسماعيل بن أبي سعد.
- الحاجّة أمّ عبد الله أسماء، والحاجة أمّ محمّد آمنه، ابنتا الشّيخ الأمين أبي البركات محمّد بن الحسن بن طاهر، يعرف بابن الرّان.

ثم أتبع بعد ذكر الأحاديث تخريج كل حديث، وبيان درجته في علم الحديث.

وأمّا مضامين هاته الأحاديث التي أوردها، فهي بيان لسيرة أزواجه ﷺ الطّاهرات، جمع فيها من الفضائل والأخلاق العظيمة التي تتمتّع بها كل منهنّ، ما يميزها، ويرفع قدرها، ويعلي مكانتها، ويضعها في الطّراز الفريد من المجتمع المثالي الذي فتح الدّنيا وأنار القلوب وهذّب النّفوس[1].

ثم إنّ الإمام فخر الدّين ابن عساكر بدأ كتابه هذا بذكر ما خُص به النّبيّ ﷺ من أمر النّكاح بزيادته على الأربع، ومما جاز له النّكاح من غير ولي ولا شهود، ومن غير مهر أيضا، وغيرها من الخصائص، ثم أفرد بعد ذلك لكلّ واحدة من زوجاته ﷺ ممّن وصل إليه في حقّها خبر خاصّ، ترجمةً على ترتيب تزويجه ﷺ بهنّ رضي الله عنهنّ، وبعد هذه المقدمة أورد أربعين حديثا دالّة على فضائلهنّ، فتح كتابه بذكر ما وقع إليه ممّا ورد في مناقب أمّ المؤمنين خديجة أمّ هند (تكنى بولد كان لها)، واختتمه بذكر ما ورد في فضلهنّ كلّهن مجملا.

المطلب الثّالث : نسخة الكتاب ومنهج التّحقيق فيه :

"تحتفظ المكتبة الظاهريّة بدمشق بنسخة فريدة من كتاب الأربعين في مناقب أمّهات المؤمنين، برقم 535 حديث، 1239 عام، والّذي يغلب على الظّن أنّ النّسخة بخط المؤلف، وبآخرها سماع عليه وإجازة منه للكتاب بخطه في التّاسع من رجب سنة 615 هـ، بمقصورة الصّحابة بجامع دمشق، وعلى النّسخة أيضا سماع على الإمام إبراهيم بن الإمام عزّ الدين بن عبد السّلام بجامع التوبة (الأشرفي) بالعقيبة سنة 674 هـ، وسماع آخر على الإمام أحمد بن إبراهيم الفزّاري بالرّباط النّاصري بسفح جبل قاسيون سنة 685 هـ، وسماع آخر بمقصورة الصّحابة سنة

[1] - الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص5.

(664هـ)، وعلى النّسخة تملك الإمام محمّد بن عليّ بن طولون مؤرّخ دمشق، والنّسخة في 56 ورقة 25×17 سم، في كلّ صفحة 13 سطرا"[1].

أمّا منهج التّحقيق فقد اعتمد محقّقا الكتاب على النّسخة الوحيدة الّتي تحتفظ بها المكتبة الظّاهريّة، ممّا ألزمهم العودة إلى مصادر المؤلف لتوثيق النّص، فخرّجا الآيات والأحاديث، وشرحا الكلمات الغريبة، وقد استهلّا الكتاب بالحديث عن الحكمة من تعدّد زوجات النّبيّ ﷺ، وبعد أن بسطا الحديث عن ذلك أوردا ترجمة لمؤلف الكتاب الشّيخ الإمام فخر الدّين ابن عساكر، وأخيرا صنعا فهرسا فنيّا للكتاب، يحوي فهرسة الآيات، ثمّ الأحاديث، ثم ذِكر شيوخ الإمام ابن عساكر، ويليه فهرس المواضيع.

[1] – الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص24-25.

المبحث الثّالث : بلاغة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم :

المطلب الأوّل : القيمة البلاغية لحديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :

"إذا ما وُضع القرآن جانبا، فإنّه لا شكّ في أنّ حديث رسول الله عليه الصّلاة والسّلام، يعتبر ذروة ما انتهى إليه كلام العرب بلاغة، وروعة، وإشراقا ؛ خلا من التّكلف المسجوع والحوشيّ الثّقيل، وهما آفة الكلام العربيّ في عصره ؛ تنزّه عن الاختصار مع الحاجةّ، والتّطويل بدون طائل، وقلّما سلم هذا الميزان باستقامة لغيره.

إذا شبّه أو مثّل التقط أقرب الأشباه وألطفها، دون تقعير ولا تعقيد، وإذا نصح أو أرشد صاغ نصائحه حكما مرسلة في ألفاظ مضيئة كالنّجم، يبدو عليها جلال النّبوة وأثر الإلهام وحلاوة الصّدق، ومع ذلك كلّه فهو يرسل أحاديثه فيض الخاطر، وعفو البديهة، وبذلت الوقت، دون سابق تحضير ولا تفكير"[1].

وقد وصف الأديب الأريب مصطفى صادق الرّافعي البلاغة والبيان النّبويّ بقوله : "هي البلاغة الإنسانيّة الّتي سجدت الأفكار لآياتها وحسرت العقول دون غايتها، لم تُصنع وهي من الإحكام كأنّها مصنوعة، ولم يُتكلّف لها وهي على السّهولة بعيدة ممنوعة.

ألفاظ النّبوة يعمرها قلب متّصل بجلال خالقه، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، فهي إن لم تكن من الوحي ولكنّها جاءت من سبيله، وإن لم يكن لها منه دليل فقد كانت هي من دليله، محكمة الفصول حتّى ليس فيها عروة مفصولة، وكأنّما هي في اختصارها وإفادتها نبض قلب يتكلّم وإنما هي في سموّها وإجادتها مظهر من خواطره ﷺ"[2].

المطلب الثّاني : أسباب البلاغة النّبويّة:

كانت بلاغته وفصاحته ﷺ، ملكة من ملكات الخلق والتّكوين، ووضعا من أوضاع النّسب والنّشأة، ووجها من وجوه الأداء والتّبليغ في رسالة كانت معجزتها بيانا يتلى لا آية خارجة عن السّنن الكونيّة تخضع لها الرّقاب[3].

أوّلا : الخلق والتّكوين :

نقل عدنان زرزور في كتابه **"سمات البلاغة النّبويّة بين الجاحظ و الرّافعي و العقاد"** ما تحدث به الرّافعي عن صفات النبي ﷺ الدالة على الكمال المحمّدي بوجه عام، وعن أثرها في البلاغة النّبويّة، أو في بيان هذا السّبب من أسباب فصاحته عليه الصلاة والسلام بوجه خاص، ثم نقل قول الرّافعي إذ يقول : "وإذا رجعت النّظر في تلك

---

[1] – في الحديث الشريف والبلاغة النبويّة : محمّد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2011م، ص47-48.

[2] – ينظر : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : مصطفى صادق الرافعي، تح : درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، دط، 2003م، ص227.

[3] – ينظر : سمات البلاغة النبوية بين الجاحظ و الرافعي و العقاد : عدنان محمد زرزور، مجلة مركز البحوث السنّة والسّيرة، قطر، ط1، دت، ص253.

الصّفات الكريمة واعتبرتها بآثارها ومعانيها، رأيت كيف يكون الأساس الّذي تبنى عليه فراسة الكمال في نوع الإنسان من دلالة الظّاهر على الباطن، وتحصيل الحقيقة النّفسية الّتي هي بطبيعتها روح الإنسان في أعماله، أو أثر هذه الرّوح، أو بقيّة هذا"[1].

"لقد كانت هذه الفصاحة إذن هبة من هبات الخلق والتّكوين أُعدّ بها ﷺ – فيما أعدّه الله– ليكون رسولا مبلّغا فإذا أضفنا إلى الصّفات الخلقيّة الّتي حباه الله بها ما قالته أمّنا عائشة رضي الله عنها **"إِنَّما كانَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ حَدِيثًا، لو عَدَّهُ العَادُّ لأَحْصَاهُ.**" أدركنا مبلغ تلك الهبة ومدى تمكّنها من الطّبع وصدور النّبيّ عنها في جميع المواقف والأحوال"[2].

ثانيا : النّسب والنّشأة :

أمّا النّسب والنّشأة وأثرهما في الفصاحة النّبويّة فأمر لا يحتاج إلى بيان، فهو من قوم كلّهم سادة قادة في اللّسان والبيان ولم يُعلم أنّ واحدا من آبائه ﷺكان منقوص البيان، فلا يمكن هنا إغفال اثر التّربية والنّشأة تُضاف إلى ما كان للنّبيّ الكريم من سموّ الفطرة وقوّتها ومن النّسب إلى بني هاشم فقد تقلّب النّبيّ في نشأته في أفصح القبائل وأخلصها منطقا وأعذبها بيانا[3].

ثالثا : الأداء والتّبليغ :

كانت فصاحته ﷺ والبلاغة النّبويّة بوجه عامّ وجها من وجوه الأداء والتّبليغ في رسالة جاءت معجزتها بيانا يُتلى لا آية كونيّة تخضع لها الرّقاب، فكان من تمام الصّورة أن يكون الرّسول أفصح النّاس لسانا، وأبلغهم بيانا فتتّسق بذلك صورة الفصاحة والبيان، والبلاغة والإبلاغ.

لقد كانت معجزة النّبيّ الكبرى بيانيّةً لأنّها إنسانيّه وليس لأنّها نزلت في قوم بلغاء أو بضاعتهم البيان وعلينا أن نبحث عن الفضيلة البيانيّة الجامعة الّتي امتاز بها اللّسان العربيّ على كلّ لسان والّتي كانت السّبب في اختيار هذا اللّسان لتنزل به إلى كلّ النّاطقين أو إلى جميع بني آدم آخرُ رسالات السّماء إلى الأرض.

وبعد أليس من لوازم الصّورة البيانيّة في هذه الرّسالة أن يكون مبلّغُها رسولُ الله ﷺ أفصح العرب وأبلغ من نطق بالضّاد وأن يكون في الذّروة العليا من البيان الإنسانيّ خصوصا إذا ذكرنا أنّ مهمّة بيان التّنزيل أو شرح هذه

[1] – ينظر : سمات البلاغة النبوية، عدنان محمد زرزور، ص255.

[2] – ينظر : المرجع نفسه، ص256.

[3] – ينظر : المرجع نفسه، ص257.

المعجزة البيانيّة قد أنيطت به عليه الصّلاة والسّلام بنصّ القرآن الكريم ذاته قال تعالى :﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾. [النّحل/الآية :44]**.وهكذا كان رسول الله ﷺ بهذه الأسباب أفصح العرب وأبلغ من نطق بالضّاد[1].

المطلب الثّالث : سمات البلاغة النّبويّة :

أوّلا : عند الجاحظ :

قال الجاحظ في ذلك الفنّ من كلامه عليه الصّلاة والسّلام : "هو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثرت معانيه وجلّ عن الصّنعة ونزّه عن التّكلّف"، يتحدّث الجاحظ في هذا الوصف الدّقيق لكلام رسول الله ﷺ عن سمتين بارزتين :

الأولى : قلّة الحروف والكلمات وكثرة المعاني وهي السّمة المعبّر عنها بجوامع الكلم.

الثّانية : تنزّه البلاغة النّبويّة عن الصّنعة والتّكلّف.

وإذا كان يرى في هاتين السّمتين أو في جميع ما ذكره في هذا النّص فنّا واحدا من ضروب الكلام النّبوي فإنه يرى أنّ البلاغة النّبويّة إذا خلت عن الصّنعة والتّكلف وجاءت مع ذلك بجوامع الكلم أو بالكلمات القليلة تحمل الكثير من المعاني فذلك هو الفنّ الّذي يميّز البيان النّبويّ وتلك هي سمة السّمات في هذا البيان وآية الآيات[2].

ثانيا : عند الرّافعي :

إنفرد الأسلوب النّبويّ عمّا عداه عند الرّافعي بأسباب طبيعيّة فيه ﷺ، فهو من جهة اللّغة مسدّد اللّفظ، محكم الوضع، جزل التّركيب، متناسب الأجزاء في تأليف الكلمات، فخم الجملة، واضح الصّلة بين اللّفظ ومعناه، واللّفظ وضريبه في التّأليف والنّسق ثمّ لا ترى فيه حرفا مضطربا، ولا لفظة مستدعاة لمعناها ومستكرهة عليه، ولا كلمة غيرها أتمّ منها أداءً للمعنى وتأتّيًا لسرّه في الاستعمال، وهو من جهة البيان تراه حسن المغزى، بيّن الجملة، واضح التّفصيل، ظاهر الحدود، جيّد الوصف، متمكّن المعنى، واسع الحيلة في تصريفه، بديع الإشارة، غريب اللّمحة، ناصع البيان، ثمّ لا ترى فيه إحالة ولا استكراها، ولا ترى اضطرابا ولا خلطا، ولا ضعفا في وجه من الوجوه.

ثمّ أضاف إلى هذا سموّ المعنى، وفصل الخطاب، والتّصرف في كلّ طبقات الكلام، وتحدّث عن الأوضاع التّركيبيّة الّتي سبقت في بيانه الكريم غير مسبوقة، من كل حكمة جامعة بارعة، أو مثل عزيز غريب، وقد كثر هذا النّوع في البلاغة

[1] – ينظر : سمات البلاغة النبوية : عدنان محمد زرزور، ص260.

[2] – ينظر : المرجع نفسه، ص262.

النّبويّة مع ندرة وقوعه لكبار الفصحاء من العرب نحو : "مات حتف انفه" ، "الآن حمي الوطيس" ، "هدنة على دخن"[1].

وقد فرّق الرّافعي بين بلاغة النّبيّ ﷺ وبلاغة الفصحاء من العرب بأمور موجزها :

تكلّفهم القول وصناعتهم فيه، وإرساله الحديث فطرة وإلهاما، وسلامته مع ذلك من عيب، وعدم سلامتهم من الاستكراه والزّلل والاضطراب، ومن حذف في مواضع الإطناب، وإطناب في مواضع الحذف، ومن كلمة غيرها أليق بمكانها، ومن معنى غيره أولى بالسّياق منه[2].

ثالثا : عند العقّاد :

"إنّ السّمة الرئيسيّة أو الأساس للبلاغة النّبويّة عند العقّاد هي سمة الإبلاغ، وقد وقف الأستاذ العقّاد على هذه السّمة من خلال هذه اللّازمة الّتي ردّدها النّبي ﷺ في خطبته الطّويلة في حجّة الوداع الّتي كانت أوّل وأهمّ إعلان عالميّ لحقوق الإنسان في التّاريخ وهذه اللّازمة هي قوله ﷺ : "ألا هل بلّغت .. اللّهمّ فاشهد".والحقّ أنّها لازمة بعيدة الدّلالة لخّصت حياة كاملة في ألفاظ معدودات، فلم تكن حياة النّبيّ الكريم-عملا وقولا- إلّا ترجمة صادقة لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ**﴾ **[النور/الآية :54]**"[3].

وقد أورد العقّاد النّقاط التّالية تفسيرا وشرحا لهذه السّمة أو تعقيبا عليها[4] :

1- خلوّ الكلام النّبويّ من الكلفة والغموض والإغراب وسرّ ذلك أنه يريد أن يبلّغ ويصل إلى سامعه لا أن يقيم بينه وبين السّامع حاجزا من اللّفظ الغريب أو المعنى الغريب.

2- خلوّ الكلام النّبويّ كذلك من الحشو والتّكرار والزيادة.

3- السّجع الّذي ورد في بعض كلامه ﷺ والّذي لا يخرج عن سمة الإبلاغ لخلوّه من الغريب والغموض والتّكلف ومساعدته على أداء المعنى وحفظه حيث يجب في مثله الحفظ والأداء.

4- سمة الإبلاغ هي الّتي طبعت كلام النّبيّ ﷺ بطابع العصرية وأخرجته من حدود الزّمان لأن رسالته ليست لزمان دون آخر ولأن الأسلوب الّذي يخرج من الفطرة المستقيمة هو أسلوب عصريّ في جميع العصور وكما خرج كلام رسول الله عن الحدّ والتّكلّف والبلاغة المصطنعة فقد خرج كذلك عن قوالب وأساليب العصور، وعلى هذا الاعتبار كان أسلوب النّبيّ -كتابة وخطابة- أسلوبا يقتدي به المعاصرون في زماننا هذا وفي كل زمان.

---

[1] - ينظر : الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية : كمال عز الدين، دار اقرأ، بيروت، ط1، 1984م، ص62.

[2] - ينظر : المرجع نفسه، ص60.

[3] - ينظر : سمات البلاغة النبوية، عدنان محمد زرزور، ص269.

[4] - ينظر : المرجع نفسه، ص270-286.

الفصل الثاني : بناء أعمدة المعاني في أحاديث الكتاب

تمهيد.

المبحث الأوّل : الخبر والإنشاء.

- المطلب الأول : الخبر (تعريفه، أغراضه، أضربه).
- المطلب الثاني : الإنشاء(تعريفه، أقسامه).

المبحث الثّاني : أحوال المسند والمسند إليه من حيث التّقديم والتّأخير :

- المطلب الأوّل : تعريف التّقديم والتّأخير.
- المطلب الثّاني : أوجه التقديم والتّأخير.

المبحث الثّالث : الوصل و الفصل :

- المطلب الأوّل : الوصل(تعريفه، مواطنه).
- المطلب الثّاني : الفصل(تعريفه، مواطنه).

المبحث الرّابع : أسلوب القصر :

- المطلب الأوّل : تعريفه.
- المطلب الثّاني : أنواعه.

تمهيد :

يعدّ علم المعاني أحد علوم البلاغة الثّلاثة : علم المعاني، علم البيان، وعلم البديع، والّتي كانت أساليب وموضوعات كلّ منها مختلطة مع بعضها البعض تحت راية البلاغة، قبل أن يُنحى بكل فرع من فروع البلاغة نحو الاستقلالية والتّخصص، ثم إنّ الغرض من علم المعاني جليل، فهو يكشف عن أسرار الجمال في القرآن الكريم، ومعرفة إعجازه، وما خصّه الله به من جودة السّبك، وحسن الوصف، وبراعة التّركيب، ولطف الإيجاز، وما اشتمل عليه من سهولة التّركيب وجزالة كلماته، وعذوبة ألفاظه، وسلامتها[1].

وعلوم البلاغة عامّة ارتبطت ارتباطا وثيقا بالقرآن الكريم، لأنّها ظهرت أول ما ظهرت خدمة للقرآن الكريم، في محاوله للكشف عن إعجازه، وجاءت أيضا خدمة لنص أحاديث النّبيّ ﷺ، الذي كان أفصح من نطق بالضّاد كما قال ﷺ عن نفسه: " **أَنَا أَفْصَحُ مَنْ نَطَقَ بالضَّادِ بَيْدَ أَنِّيْ مِنْ قُرَيْش** "[2].

وسنحاول في هذا الفصل أن نقف عند بعض لبنات علم المعاني، ونحلّل شواهدها الواردة في أحاديث كتاب الأربعين في مناقب أمّهات المؤمنين.

المبحث الأوّل : الخبر والإنشاء :

المطلب الأوّل : الخبر :

أوّلا : تعريفه :

عُرِّف الخبر بأنّه : "كلّ كلام يحتمل الصّدق والكذب لذاته"[3]، فالخبر إذًا كل ما احتمل الصّدق والكذب، فخرج بذلك كلّ ما لا يحتمل الصّدق والكذب وهو الإنشاء بجميع أنواعه، كما يُنظر إلى ذات الخبر في الحكم على صدقه أو كذبه، لا إلى قائل الخبر، لأنّه لو نُظر إلى قائله لوجدنا كلاما لا يحتمل إلا الصّدق كالأخبار التي وردت في القرآن الكريم وأحاديث النّبيّ ﷺ والحقائق العلميّة والبديهيات الّتي لا يشكّ فيها، ولذلك يخرج من هذا التّعريف[4].

---

[1] – علوم البلاغة : أحمد قاسم ومحي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2003م، ص259–260.

[2] – تفسير القرآن العظيم : ابن كثير الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي، تح : يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1987م، ج1، ص32.

[3] – أساليب بلاغية (الفصاحة، البلاغة، المعاني) .: أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980م، ص89.

[4] – المرجع نفسه، ص89–90.

ثانيا : أغراض الخبر :

أ- فائدة الخبر :

ويقصد بها أن إلقاء الخبر يكون من أجل إعلام المخاطب، بالحكم الذي تضمّنته الجملة الخبرية حين يكون جاهلا به، لأنّه المقصود بالخبر والمستفاد منه، نحو : الدّين المعاملة، لمن يجهل هذا الأمر[1]، ونجد في كتاب الأربعين في مناقب أمّهات المؤمنين، أحاديث خبرية كان الغرض منها هو إفادة السّامعين ما تضمنته من أحكام، ومن هذه الأحاديث نذكر :

- الحديث الثاني :

يبيّن النّبيّ ﷺ في هذا الحديث فضل أمّنا خديجة --رضي الله عنها- وعن أمّهات المؤمنين جميعا- والمنزلة التي تبوّأتها بأن كانت خير نساء العالمين، حيث يقول ﷺ : **(خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ)**[2]، فكلّ من السّيدة مريم البتول، وأمّ المؤمنين خديجة --رضي الله عنها-- خير نساء الأرض في عصرها، أمّا التفضيل بينهما فمسكوت عنه[3]، كما ذكر النّووي ذلك في شرحه لصحيح مسلم، وغرض الخبر في هذا الحديث إفادة المخاطبين معنى جديدا هم غير مدركين لحكمه، فخبر الحكم على امراتين بأنّهما خير نساء العالمين مذ خلق الله الخلق، لم يكن لبشر من سائر البشر أن يحكم به وإنّما هو وحيّ أنزل على رسول الله ﷺ ولم يكن من عنده، فالله تعالى يقول : ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى** ﴾ [النجم/ 3-4]

- الحديث الخامس :

هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد النّكاح الشرعيّ الصّحيح، فالشّارع الحكيم قد أوجب وجود وليّ للمرأة حتّى ينعقد النّكاح، لما في ذلك من ضمان لإرشاد المرأة إلى ما هو خير لها في أمر زواجها وأنّه إذا انتفى وجوده يفسد النّكاح ويعتبر غير شرعيّ كما قال ﷺ فيما رواه عن ربه : **(لَا يَتِمُّ نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ وَشَاهِدَيْنِ)**[4]*، وقد أفاد الخبر المخاطب الحكم الّذي تضمّنته الجملة بأنّه لا يجوز أن تُزوّج المرأة إلا بوليّ لها، وما وُضع هذا الشّرط إلّا حفاظا على المرأة ورعاية لها.

---

[1] - مدخل إلى البلاغة العربية (علم المعاني علم البيان علم البديع) : يوسف أبو العدوس، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 2007م، ص56.

[2] - الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص51.

[3] - صحيح مسلم بشرح النووي : أبو زكريا محي الدين يحي بن شرف النووي، مؤسسة قرطبة، القاهرة مصر، ط2، 1994م، ج15، ص284.

[4] - الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص55.

* وقد زيد في هذه الرواية قوله : (وَأَنَا وَلِيُّ خَدِيجَةَ)، وهذا حديث غريب جدا من حديث أنس بن مالك، كما أورد ذلك ابن عساكر.

– الحديث السّابع عشر:

تروي أمّنا عائشة –رضي الله عنها– ما عاناه النّبيّ ﷺ من شدّة الألم والوجع، وما أصابه من الحمّى حين حضره الموت –صلوات ربي وسلامه عليه– حتّى إنّه كان يقول : **(لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ)**[1]، ومحل الشّاهد هنا قوله : **(إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ)** فالنّبيّ ﷺ يخبر عن الموت وما يلقاه الإنسان عند موته، فغرض الخبر هنا هو إفادة السّامعين الحكم الذي تضمّنه القول بأنّ للموت سكرات، أي شدائد وأهوالًا وآلامًا عظيمة، وإذا كانت هذه حال النّبيّ ﷺ عند الموت، وما حلّ بجسده الكريم الطّاهر من سكرات وهو نبيّ، فما بال من سواه ؟!

ب– لازم الفائدة :

هو إعلام المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم الذي تتضمّنه الجملة، حيث يكون المخاطب عالما بالحكم، ولكنّه يجهل أن المتكلم يعلمه أيضا، ويسمّى هذا النّوع لازم الفائدة لأنّه يلزم في كلّ خبر أن يكون المخبَر به عنده علم أو ظنّ به، ومثال ذلك قولك لمن حفظ المعلقات السبع: قد حفظت المعلقات السبع، وأنت هنا تقصد إفادة المخاطب أنّك عالم بالحكم وهو حفظه للمعلقات السّبع[2]، ومن الأحاديث التي كان الغرض من إلقائها هو إعلام المخاطب أنّ المتكلم عالم بالحكم الذي تضمّنه القول نورد ما يلي :

– الحديث العشرون :

عند الشّدائد والأهوال يتبيّن الرّجال ومنازلهم، وهذا أبو بكر الصّديق –رضي الله عنه– يقف موقفا عظيما خلده التّاريخ يوم موت النّبيّ ﷺ، فكل الصّحابة –رضوان الله عليهم– اضطربوا واحتملتهم الحيرة ومنهم من أنكر أنّ النّبيّ ﷺ قد توفّيّ إلّا أبا بكر فقد ثبّته الله وخطب في النّاس وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : **(مَن كانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فإنَّ اللَّهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، وَمَنْ كانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ، فإنَّ مُحَمَّدًا قدْ مَاتَ)**[3]، فقوله : **(مَن كانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فإنَّ اللَّهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ)** بناءً على أنّ المتكلم عالم بالحكم الذي تضمّنته الجملة، فالكل يسلّم ويؤمن بأنّ الإله حيّ لا يموت.

– الحديث الرّابع والعشرون :

رحم الله أبا بكر، هكذا دعا النّبيّ ﷺ لصاحبه ورفيق هجرته وأحبّ الخلق إليه من الرّجال، حيث قال

---

[1] – الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص77.

[2] – مدخل إلى البلاغة العربية : يوسف أبو العدوس، ص56.

[3] – الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص82.

ﷺ : (**رحمَ اللَّهُ أبا بَكرٍ زوَّجني ابنتَه، وحَمَلَني إلَى دَارِ الهِجْرَةِ، وأَعْتَقَ بِلَالًا مِن مَالِه**)[1]، فالنّبيّ ﷺ حينما عدّد فضائل أبي بكر وأخبر بها لم يكن النّاس بها جاهلين، ولا أبو بكر كان يجهل ذلك، وإنّما أراد النّبيّ ﷺ أن يُقرّ لأبي بكر الفضيلة، لما علم من صنيعه ويدعو له، فالغرض من الخبر في هذا الحديث هو لازم الفائدة.

– الحديث الحادي والثّلاثون :

في هذا الحديث تذكر أمّنا عائشة مناقب أمّ المؤمنين زينب بنت جحش –رضي الله عنهما– وتثني على فضائلها، وما اختُصّت به عن سائر أزواج النّبيّ ﷺ، بأنْ زوجها الله من فوق السّماوات، حيث تقول : (**إنّ الله زَوَّجَهَا نَبِيَّهُ فِي الدُّنْيَا وَنَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ**)[2]، وقد أفاد الخبر الّذي أوردته أمّنا عائشة –رضي الله عنها– أنّها على علم بالمكانة والمنزلة الّتي تحظى بها زينب، ممّا بلّغها أن تُذكر في القرآن وأن يتولّى الله تزويجها، فقد قال الله سبحانه وتعالى في سورة الأحزاب : ﴿ **فَلَمَا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا** ﴾ [الأحزاب/37]، فكان الغرض من الخبر الّذي ساقته أمّنا عائشة –رضي الله عنها– هو لازم الفائدة.

هذه بعض الأحاديث الّتي كان القصد أو الغرض منها إمّا إفادة المخاطبين حكما جديدا لم يكونوا به عالمين، وإمّا إعلامهم بأنّ المتكلم عالم أيضا بالحكم كما هم عالمون به، كما نجد بعض الأخبار تصدر لأغراض أخرى تفهم من سياق الكلام ومن أمثلتها في الأحاديث نذكر :

– الحديث الثّامن عشر :

من بين الأشياء التي اختُصت بها أمّ المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– عن سائر أزواجه ﷺ، أنّها الزّوجة البكر الوحيدة التي تزوّجها، وأنّها الوحيدة الّتي هاجر أبواها، وأنّها المبَرّأة من فوق سبع سماوات، وغيرها من الفضائل، وتخبر عن هذا بقولها : (**فُضّلْتُ عَلَى نِسَاءِ النّبيّ ﷺ بِعَشْرٍ**)[3]، وقد جاء الخبر هذا بغرض الفخر، فأمّ المؤمنين تفخر بما نالته من الفضائل، وما اختُصت به من الأشياء دون سواها من أمّهات المؤمنين رضي الله عنهن أجمعين.

– الحديث التّاسع والثّلاثون:

عظَّم الإسلام مكارم الأخلاق ومحاسنها وحثّ عليها النّبيّ ﷺ، ومن جملتها أنّه دعا إلى تحقيق أعلى رتب

[1] – الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص86.

[2] – المصدر نفسه، ص96.

[3] – المصدر تفسه، ص78.

الخير بالإحسان إلى الأهل فقال ﷺ : (**خَيْرُكُم خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ**)[1]، فجاء خبره ﷺ ناصحا للأمّة، مرغّبا بأن يتخلّق المسلمون بمثل أخلاقه، إذ كان خيرَ النّاس وخيرَهم لأهله، لطيفَ المعشر يتلطّف ويتودّد إليهم ويُحسن ويرأف بهم، ولو مُدّ المداد لذكر أخلاقه وحسن تعامله مع أهله، لجفّ قبل أن يُستوفى حقّ الذّكر ﷺ.

ثالثا : أضرب الخبر :

قد عرفنا من قبل أن علم المعاني يتحرّى أن يكون الكلام مطابقا لمقتضى الحال، بمعنى أنّه يراعي مختلف المقامات التي يرد فيها الكلام، كما يراعي أحوال المخاطبين، فكلّ مقام يستوجب ويستدعي وجها من أوجه التراكيب التي لا يستدعيها مقام آخر، ومنه باختلاف المقامات تختلف طرق تقديم الخبر وهي على ثلاثة أضرب :

أ- إبتدائي :

"إذا كان المخاطب خاليّ الذّهن، لا تعرف منه إنكارا، ولا تجد في نفسه شكّا أو تردّدا فيما تلقيه إليه، فينبغي أن تلقي إليه الخبر خاليا من التّأكيد فتقول له مثلا : الدين المعاملة"[2]، وممّا ورد في الأحاديث الشّاهدة على هذا الضّرب نورد :

- الحديث العاشر :

روت أمّنا عائشة -رضي الله عنها- ما ردّ به النّبيّ ﷺ حينما سألته عن أزواجه في الجنّة، حيث قالت : (**قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ : مَنْ أَزْوَاجُكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: أَنْتِ مِنْهُنَّ**)[3]، ومحل الشاهد هنا قوله ﷺ : (**أَنْتِ مِنْهُنَّ**)، فعندما أخبرها الخبر لم يؤكّده بمؤكّد، ولم يقل : (إنّك منهنّ) لأنّه ألقى إليها الخبر وهي خالية الذّهن، فلا يعرف منها إنكارا ولا يلمس منها تردّدا في التّصديق.

- الحديث العشرون :

لما توفي رسول الله ﷺ استأذن عمر والمغيرة بن شعبة، فدخلا عليه وكشفا عن وجهه الكريم، وظنّ عمر أنّ النّبيّ ﷺ قد غُشِّي عليه، ثم همّ المغيرة بالخروج فلمّا بلغ عند الباب قال : (**مَاتَ رَسُولُ الله ﷺ يَا عُمَرُ**)[4]، فعمر عندما أُخبِر بهذا الخبر كان خالي الذّهن ولم يَعلم أن رسول الله ﷺ قد توفّيّ، بل لم يختلجه أيّ شكّ بأنّه قد مات، لذلك ورد الخبر خاليا من التأكيد.

---

[1] - الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص109.

[2] - البلاغة فنونها وأفنانها : فضل حسن عباس، دار الفرقان، الأردن، ط4، 1997م، ص113.

[3] - الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص69.

[4] - المصدر نفسه، ص81.

ب- طلبي :

إذا كان المخاطب متردّدا في الحكم، طالبا لمعرفته، حسُن التّوكيد[1]، ومثاله من الأحاديث الواردة في كتاب الأربعين في مناقب أمّهات المؤمنين نذكر :

- الحديث الثّامن :

روى ابن عساكر في هذا الحديث بسنده أنّه لما ماتت خديجة بعث الله جبريل إلى النّبيّ ﷺ فأتاه بعائشة في مهد وقال: (**يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ تُذْهِبُ بَعْضَ حُزْنِكَ، وَإِنَّ فِي هَذِهِ خَلَفًا مِنْ خَدِيجَةَ**)، وقوله عليه السّلام : (**وَإِنَّ فِي هَذِهِ خَلَفًا مِنْ خَدِيجَةَ**)[2] تأكيد للنّبيّ ﷺ بأنّ عائشة ستكون خلفا لها، لأنّه بعد وفاة خديجة قد حزن حزنا شديدا لفراقها، حتى سُمي ذلك العام بعام الحزن، فحزنه عليها لما كان يُكنُّ لها من حب فقد قال ﷺ عنها : (**إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا**)[3]، وقال ﷺ معدّدا أفضالها : (**قد آمَنَتْ بي إذ كفَرَ بي الناسُ، وصدَّقَتْني إذ كذَّبَني الناسُ، وواسَتْني بمالِها إذ حرَمَني الناسُ، ورزَقَني أَوْلَادَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النَّاسِ**)[4]، فكان ﷺ في مقام الشّك والتردّد بأنّ امرأة أخرى ستخلُف خديجة في مكانتها عنده، فناسب أن يُلقى الخبر إليه مؤكّدا بمؤكّد واحد.

ت- إنكاري :

إذا كان المخاطب منكرا للحكم الذي أطلقه المتكلّم، معتقدا خلافه، فحينئذ يجب على المتكلّم تأكيد الخبر للمخاطب بمؤكّد أو مؤكّدين أو أكثر، حسب درجة إنكار المخاطب للحكم قوة وضعفا[5]، وممّا ورد في الأحاديث الشّاهدة على هذا الضرب نورد :

- الحديث العشرون :

وقف الناس يوم موت النّبيّ ﷺ موقف المضطرب والحائر، منهم من ذُهل، ومنهم من سكت، ومنهم من لم يستطع القيام، ومن الّذين أنكروا الخبر، عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فبعد أن أخبره المغيرة بخبر وفاة رسول الله ﷺ وقف يقول : (**إِنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ تُوُفِّيَّ، وَإِنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَا مَاتَ، وَوَالله لَيَرْجِعَنَّ رَسُولُ الله ﷺ فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِيَ رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ مَاتَ**)[6]، حتى أجلسه أبو بكر وقام في الناس

---

[1] – دروس البلاغة : حفني ناصف وآخرون، مكتبة أهل الأثر، الكويت، ط1، 2004م، ص38.

[2] – الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص59.

[3] – السمط الثمين : محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري، تح : محمد علي قطب، دار الحديث، القاهرة، مصر، دط، دت، ص44.

[4] – المرجع نفسه، ص42.

[5] – مدخل إلى البلاغة العربية : يوسف أبو العدوس، ص58.

[6] – الرحيق المختوم : صفي الرحمن المباركافوري، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، دط، 2014م، ص175.

يلقي إليهم خبر وفاة النّبيّ ﷺ فقال : **(مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ)**[1]، ثم تلا عليهم قوله تعالى : ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ** ﴾ [الزمر/ 31]، فأبو بكر الصديق رضي الله عنه حينما قال : **(فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ)** ساق الخبر مؤكدا بمؤكدين، لما علم من إنكار البعض لموت رسول الله ﷺ، ومنهم عمر الذي أنكر إنكارا شديدا، ولذلك جاء الخبر مصحوبا بمؤكّدين.

المطلب الثّاني : الإنشاء :

أوّلا : تعريفه :

"هو ذلك الكلام الذي لا يحتمل صدقا ولا كذبا كقولك : اعلم هداك الله، أعندك نبأ من كذا...إلخ، فليس في مقدورك أن تقول لقائل ذلك إنه صادق أو كاذب"[2].

ويمكن تعريف الإنشاء بأنه: "ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا اذا تلفظت به"[3].

أمّا أقسامه : فطلبي وغير طلبي، و الإنشاء غير الطّلبي لا يندرج ضمن أقسام علم المعاني، لأن جُلّ العلماء البلاغيين قد أخرجوه من حيّز البلاغة لقلّة الفوائد البلاغية في صيغه وأساليبه، ويرون أن ألوان الإنشاء غير الطّلبي يمكن أن تندرج في سلك الأخبار، اللّهم إلا أسلوب النّداء فهو أقرب إلى الإنشاء الطّلبي[4]، وأمّا الإنشاء الطّلبي فنجد من جملة تعريفاته، تعريف السّامرائي حيث يقول عنه : "هو ما يستدعي مطلوبا كالأمر، والنّهي، والتّمنّي، والاستفهام، والنّداء، والعرض، والتّحضيض، نحو : قل الحق ولو على نفسك، وقوله تعالى : ﴿ **لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا** ﴾ [طه/ 61]، وكقول : ليت الشباب يعود يوما) و (خالد هل تسافر؟) و (ألا تستريح؟) و (هلا أخبرته)[5].

ثانيا : أقسام الإنشاء الطّلبي :

أ– الاستفهام :

هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل وأدواته هي : الهمزة، وهل، ومن، وما، ومتى، وأيّان، وأين، وأنّى، وكيف، وكم، وأيّ، ولكل من هذه الأدوات أحكام ووجوه استعمال[6]، وأدوات الاستفهام هذه قد تخرج عن معانيها

---

[1] – الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص82.

[2] – الكافي في علوم البلاغة العربية : عيسى علي العاكوب وعلي سعد الشتيوي، مطبعة الإنتصار، الإسكندرية، دط، 1993م، ص248.

[3] – المرجع تفسه، ص248.

[4] – مدخل إلى البلاغة العربية : يوسف أبو العدوس، ص63.

[5] – الجملة العربية (تأليفها وأقسامها) : فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، عمان، الأردن، ط2، 2007م، ص174.

[6] – مدخل إلى البلاغة العربية : يوسف أبو العدوس، ص73.

الأصليّة إلى معان أخرى على سبيل المجاز، تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال[1]، وهذه المعاني هي الأغراض التي يخرج إليها الاستفهام وهي كثيرة، ومثالها قوله سبحانه : ﴿**هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ**﴾ [الرحمان / 60]، فالاستفهام هذا غير حقيقي وإنّما الغرض منه هو النّفي، ومعناه : ليس جزاء الإحسان إلا الإحسان. وقد وردت في كتاب الأربعين بعض الأحاديث التي حوت الاستفهام المجازي نذكر منها :

– الحديث السّادس :

ذكر النّبيّ ﷺ خديجة يوما وأثنى عليها، فاحتملت الغيرة أمّ المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– غيرةٌ جُبلت الفطرة البشريّة عليها، فذكرتها عند رسول الله ﷺ وقالت : (**لَقَدْ عَوَّضَكَ الله مِنْ كَبِيرَةِ السِّنِّ، فَغَضِبَ رَسُولُ الله ﷺ غَضَبًا شَدِيدًا وَقَالَ: كَيْفَ قُلْتِ ؟ وَالله لَقَدْ آمَنَتْ بِيَ إِذْ كَفَرَ بِيَ النَّاسُ ...**)[2]، فاستفهامه ﷺ غير حقيقي، وإنّما ظاهره سؤال ومعناه إنكاره ﷺ لما قالته عائشة –رضي الله عنها– وفي حديث آخر قال ﷺ : (**لَا وَالله مَا رَزَقَنِي خَيْرًا مِنْهَا**)[3]، فكان غرض الإنكار الملحّف بالاستفهام أكثر وقعا في النّفس من المجرد منه.

– الحديث التّاسع والعشرون :

تزوّج النّبيّ ﷺ جويرية بنت الحارث بعد أن أعتقها من السبيّ في غزوة المريسيع[4]، فجاءه أبوها الحارث بن أبي ضرار ليفتديها وهو سيّد قومه، فحكم النّبيّ ﷺ له بحكم يرضاه فقال : (**أَرَأَيْتَ إِنْ خَيَّرْنَاهَا أَلَيْسَ قَدْ أَحْسَنَّا ؟ قَالَ لَهُ : بَلَى**)[5]، وبعد أن خُيّرت جويرية اختارت الله ورسوله، ورجع أبوها خائبا، ومحلّ الشّاهد قوله ﷺ : (**أَرَأَيْتَ إِنْ خَيَّرْنَاهَا أَلَيْسَ قَدْ أَحْسَنَّا ؟**)، فالغرض من هذا الاستفهام واضح جليّ ألا وهو التّقرير، فالنّبيّ ﷺ أراد من الرّجل الإقرار بالحكم، واستخدامه للاستفهام في هذا الموضع كان من حذقه وبلاغته وفطنته ﷺ، فهو أفصح العرب، لما لهذه الصّيغة من استمالة المخاطب إلى الإذعان وحمله على الإقرار.

ب– الأمر :

هو طلب حصول الفعل من المخاطب، وإذا كان الأمر حقيقيا فإنّه يكون على سبيل الاستعلاء والإلزام، أمّا إذا تخلف كلاهما، أو أحدهما فإنّ الأمر يخرج عن معناه الحقيقي، ويكون أمرا بلاغيا[6]، والثّاني منهما هو الّذي يندرج ضمن مباحث البلاغة ونورد له مثالين من الأحاديث كالتّالي :

---

[1] – علم المعاني : عبد العزيز عتيق، ص95.

[2] – الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص56.

[3] – زوجات النّبيّ ﷺ : محمد متولي الشعراوي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، ط1، 2001م، ص131.

[4] – الطبقات الكبرى : محمد بن سعد بن منيع الزهري، تح : علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 2001م، ج2، ص61-62.

[5] – الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص94.

[6] – مدخل إلى البلاغة العربية : يوسف أبو العدوس، ص66.

– الحديث التّاسع :

ومحل الشاهد في هذا الحديث الذي روت فيه أمّنا عائشة –رضي الله عنها– حادثة الإفك، هو قول النّبيّ ﷺ لها بعد أن بلغه عنها ما بلغ : (**فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ الله، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي الله وَتُوبِي إِلَيْهِ**)[1]، فأمره لها بالاستغفار والتّوبة خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى النّصيحة والإرشاد، فرغم أنّ النّبيّ ﷺ قد بلغ الأذى أهلَ بيته وأيُّهم ؟ عائشة أحبّ الخلق إلى قلبه –رضي الله عنها– ومع ذلك وقف موقف المعلم النّاصح والمرشد ﷺ.

– الحديث الثّالث والعشرون :

تقول أمّنا عائشة –رضي الله عنها– : (**كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا غَضِبَ عَلَى عَائِشَةَ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى مَنْكِبِهَا فَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهَا ذَنْبَهَا، وَأَذْهِبْ غَيْظَ قَلْبِهَا، وَأَعِذْهَا مِنْ مُضِلَّاتِ الفِتَنِ**)[2]، فالأمر في **قوله : (اِغْفِرْ، أَذْهِبْ، أَعِذْهَا)** : أمر بلاغي غير حقيقي لِانتفاء الشّرط الأساسي فيه، وهو الاستعلاء، والنّبيّ ﷺ في قوله ذاك كان يدعو لأمّنا عائشة –رضي الله عنها– وفي هذا الحديث من العبر ما فيه، ولو يقتدي الأزواج بخير الخلق في التّعامل مع أزواجهم لثبت جذع الأسرة، و لِاستقرّ على ركن صحيح.

ت– النّهي :

هو طلب الكفّ عن الشّيء، وله صيغة واحدة هي المضارع المقرون بلا النّاهية، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ **لاَ تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى** ﴾ [النساء/ 43]، والنّهي نهيان، نهي حقيقيّ : وهو ما كان من الأعلى إلى الأدنى على سبيل الاستعلاء والإلزام، كقوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا** ﴾ [الحجرات/ 12]، والنّهي الثاني نهي بلاغي : وهو الّذي يَفتقد إلى شرطيّ الإعلاء والإلزام[3]، فيخرج عن معناه إلى معنى آخر، ومن الأحاديث التي ورد فيها النّهي وخرج عن معناه نذكر :

– الحديث الخامس عشر :

وهذا حديث أمّ سلمة عندما ذهبت إلى الرّسول ﷺ بعد أن أرسلها صواحبها تلتمس منه أن يأمر النّاس يهدوا له حيث كان، ولا يتحرّون يوم عائشة، فسكت حين سألته في الأولى والثّانية، فلما أعادت الثّالثة قال لها رسول

[1] – الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص65–66.

[2] – المصدر نفسه، ص85.

[3] – مدخل إلى البلاغة العربية : يوسف أبو العدوس، ص70.

ﷺ : (**لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ**)[1]، ونهيه ﷺ كان من باب النّصح والإرشاد لما فيه خير لها ولصواحبها، لأنّه من آذى عائشة فكأنّما آذى النّبيّ ﷺ، فلم يقل (لا تؤذي عائشة)، بل قال (لا تؤذيني في عائشة)، وأعظم الإيذاء إثما وأشدُه ضررا ذلك الّذي تُرمى سهامه على خير الخلق قاطبة، فجاء النّهي حاملا لمعنى النّصح والإرشاد.

– الحديث الثّالث والثّلاثون :

يوم رأت أمّنا عائشة –رضي الله عنها– أمّ المؤمنين صفيّة بنت حييّ بعد أن تزوّجها ﷺ قال لها : (**كَيْفَ رَأَيْتِهَا، فَقَالَتْ : رَأَيْتُ يَهُودِيَّةً، فَرَدَّ النَّبِيُّ ﷺ قَائِلًا : لَا تَقُولِي هَذَا يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهَا قَدْ أَسْلَمَتْ فَحَسُنَ إِسْلَامُهَا**)[2]، فنهاها النّبيّ ﷺ، وكره أن تقول عن صفيّة ما قالت، لما فيه إيذاء وضرر لصفيّة، وإيذاء النّاس المؤمنين يجلب الإثم، فنصحها ﷺ أن تحفظ نفسها من ذلك، فجاء النّهي هنا حاملا لمعنى النصيحة.

ث– النّداء :

هو طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف من حروف النّداء، يحل الفعل المضارع "أنادي" المنقول من الخبر إلى الإنشاء محله، وقد يُحذف حرف النّداء إذا فُهم من الكلام، ومن أدواته : الهمزة، وأي، ويا، وآي، وأيا، وهيا، ووا[3]، وقد تخرج أساليب النّداء من معناها الأصلي إلى معان أخرى تُفهم من السّياق، ونذكر بعض الأحاديث الّتي خرج فيها النّداء عن معناه الأصلي إلى معنى آخر :

– الحديث التّاسع :

تروي أمّنا عائشة –رضي الله عنها– في هذا الحديث حادثة الإفك، ومن بين ما روته أنّها خرجت يوما مع أمّ مسطح قبل المناصع، وهي لا تدري بقول أهل الإفك، وإذا هم كذلك إذ عثرت أمّ مسطح في مرطها، فسبت مسطحا بسبب خوضه في قول أهل الإفك، فأنكرت عليها عائشة ذلك، فقالت أم مسطح : (**أَيْ هَنْتَاهُ، أَوَلَمْ تَسْمَعِي بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ**)[4]، ثم أخبرتها عن ذلك، والشّاهد في هذه الحادثة أن أمّ مسطح لما نادتها وقالت : (أي هنتاه)، لم تكن تقصد إقبالها عليها، وإنّما تعجّبت من قولِها، ودفاعِها عن شخص قد بلغها أذاه، وبذلك كان هذا النّداء غير حقيقي، وإنّما خرج إلى غرض آخر وهو التّعجب.

---

[1] – الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص75.

[2] – المصدر نفسه، ص100.

[3] – مدخل إلى البلاغة العربية : يوسف أبو العدوس، ص 84.

[4] – الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص63.

– الحديث التّاسع عشر :

جاء في هذا الحديث أنّ عائشة –رضي الله عنها– قالت في يوم من الأيام : (**وَارَأْسَاهُ**)[1] حيث اشتكت صداعا أصابها –رضي الله عنها–، فالنّداء الّذي نادت به خرج عن معناه الأصليّ (وهو طلب المخاطب الإقبال) إلى معنى التّوجع والتّفجع على الرأس لشدّة ما وقع به من ألم.

[1] – الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص79.

المبحث الثّاني : أحوال المسند إليه والمسند من حيث التّقديم والتّأخير :

المطلب الأوّل : تعريف التّقديم والتأخير :

مما ورد في تعريف التّقديم والتّأخير نجد تعريف الفقيه الإمام الطّوفيّ (ت716هـ) في كتابه (الإكسير في علم التفسير) حيث يقول عنه : "هو جعل اللّفظ في رتبة قبل رتبته الأصليّة، أو بعدها، لعارض اختصاص أو أهمية أو ضرورة"[1]،وممّا لا شكّ فيه أنّ علماء البلاغة قد اعتنوا بالتّقديم والتّأخير وأفردوا له الأبواب لوزنه وأهمّيّته في تحسين الكلام، وهذا شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني أفضل من وصف هذا الباب وصفا دقيقا وعدّد محاسنه يقول عنه : هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التّصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفترّ لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قُدّم فيه شيء وحوّل اللّفظ من مكان إلى مكان[2].

المطلب الثّاني : أوجه التّقديم والتّأخير :

ذكر عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) أن طرق التّقديم والتّأخير تكون على وجهين :

أوّلا : **تقديم على نيّة التّأخير :**

"هو أن تعمد إلى اللّفظ فتنقله إلى رتبة غير رتبته، وذلك في كلّ شيء أقررته مع التّقديم على حكمه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه"[3]، ومعنى هذا القول أن اللّفظ يُغيّر موقعه، ورغم تَغيّر موقعه يظلّ متمسّكا بجنسه، إن كان مذكّرا قُدّم أو أُخّر مع تذكيره، وإن كان مؤنّثا أُنّث وهكذا،كما يحتفظ اللّفظ بحكمه إن كان مفعولا ظلّ كذلك، فمثلا لو قدّمنا المفعول في قولنا : ضرب زيدٌ عمرًا، لقلنا : ضرب عمرًا زيدٌ، فيظلّ المفعول مفعولا رغم تقديمه، والفاعل فاعلا رغم تأخيره.

ويجدر بنا القول في هذا المقام أن التّقديم والتّأخير لا يكون اعتباطيا ولا يكون عبثا، وإنّما يكون وراء ذلك أغراض بلاغية، وسوف نعرض بعض الأحاديث التي كان فيها التّقديم والتّأخير على هذا الوجه مع ذكر الأغراض البلاغية لذلك :

– الحديث التّاسع :

تروي أمّ المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– يوم أُنزل على رسول الله ﷺ وحيّ يبرّئها الله فيه من قول أهل

---

[1] – الإكسير في علم التفسير : الطوفي سليمان بن عبد القوي الصرصري البغدادي، تح : عبد القادر حسين، دار الأوزاعي، بيروت، ط2، 1989م، ص189.

[2] – دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني، ص106.

[3] – المرجع نفسه، ص106.

الإفك بعد أن لبث شهرا لا يُوحى إليه في شأنها بشيء، حيث تقول : (**فَلَمَا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ فَكَانَ أَولَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ : أَبْشِرِي يَا عَائِشَةَ**)[1]، وتقدير الجملة الخبرية التي أوردتها هو : (كان قولُه أبشري أوّلَ كلامه)، فقدم خبر كان (أولَ كلمة تكلم) على اسمها (قولُه : أبشري)، والغرض البلاغي من وراء هذا التّقديم هو التّشويق إلى معرفة ما نزل على رسول ﷺ في شأن عائشة –رضي الله عنها–.

– الحديث السّادس والعشرون :

يوم أُنزلت آية التّخيير وعرض النّبيّ ﷺ على أزواجه ما خيّرهم به الله تعالى بدأ بعائشة –رضي الله عنها– وأشار عليها أن تستشير أبويها فقالت : (**أَفِيكَ يَا رَسُولَ الله أَسْتَشِيرُ أَبَوَيَّ ؟**)[2]، وفي القول هذا نجد أنّ متعلق الفعل (أفيك) قد قُدم على الفعل (أستشير)، وقد جيء بهذا التّقديم لغرض بلاغي وهو الاهتمام والعناية بالمقدَم، فعائشة –رضي الله عنها– استفهمت استفهاما أنكرت فيه أن مثل رسول الله ﷺ يُستشار في فراقه، فلم يكن فعل الاستشارة محل إنكار، وإنما أنكرت أن تستشير أحدا في رسول الله ﷺ.

– الحديث الثّامن والثّلاثون :

ورد في هذا الحديث أنّه بعد موت النّبيّ ﷺ أتى آت إلى أهل بيت رسول الله ﷺ، يسمعون حسَّه ولا يرون شخصه فقال لهم يعزيهم : (**إِنَّ فِي الله خَلَفَا مِنْ كُلِّ هَالِكْ، وَعَزَاءً مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ، وَدَرَكًا مِنْ كُلِّ فَائِتْ، فَبِالله فَثِقُوا، وإِيَّاهُ فَارْجُوا، فَإِنَّ الْمُصَابَ مَنْ حُرِمَ الثَّوَابَ**)[3]، وقوله : (إن في الله خلفا من كل فائت) قُدّم فيه المسند (خبر إن) شبه الجملة (في الله) على المسند إليه (خلفا) تقدّما واجبا، لأنّ الخبر أتى شبه جملة، أمّا الغرض البلاغي من إيراد هذه الصيغة فهو التّخصيص، فالله وحده من يجبر المصاب، ويأجره في مصيبته، وينزل رحماته عليه، ويجعل له في صبره الفوز بالجنّات، وليس غيره يُرجى منه ذلك.

ثانيا : تقديم لا على نية التّأخير :

"هو أن تنقل الشّيء عن حكم إلى حكم، وتجعل له بابا غير بابه، وإعرابا غير إعرابه، ومثاله قولنا : ضربت زيدا، وزيدٌ ضربتُه، لم نقدّم (زيدا) على أن يكون مفعولا منصوبا بالفعل كما كان، ولكن على أن نرفعه بالابتداء، ونشغل الفعل بضميره، ونجعله في موضع الخبر له"[4]، ومن الأحاديث التي وردت على هذا الوجه نذكر :

---

[1] – الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص67.

[2] – المصدر نفسه، ص89.

[3] – المصدر نفسه، ص108.

[4] – ينظر : دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، ص106-107.

– الحديث التّاسع:

حينما بشّر النّبيّ ﷺ عائشة ببراءتها قال ﷺ : **(أَمَا الله فَقَدْ بَرَّأَكِ)**[1] وهذه الجملة الاسمية تقدّم فيها المبتدأ بعد أن كان فاعلا، ولكن قُدّم على أن يُرفع بالابتداء لا على الفاعلية، أما الغرض البلاغي من هذا التّقديم فهو التخصيص، فالله وحده من برَّأ عائشة ونطق بذلك القرآن، ومن جهة أخرى نجد أن المبتدأ قُدّم للتّعظيم ولنسبة الفعل إلى الله سبحانه دون غيره.

– الحديث الحادي والثّلاثون :

ورد عن النّبيّ ﷺ أنه قال لأزواجه قبل أن يموت : **(أَسْرَعُكُنَّ بِي لُحُوقًا أَطْوَلُكُنَّ بَاعًا)**[2]، وفي هذه الجملة قُدّم الخبر (أسرعكن بي لحوقا) على المبتدأ (أطولكن باعا)، وأخذ حكمه وإعرابه فأصبح الخبر مبتدءا، والمبتدأ خبرا، والغرض من هذا التّقديم هو التّشويق لمعرفة من يقع عليه حكم المبتدأ.

[1] – الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص67.

[2] – المصدر نفسه، ص96.

المبحث الثّالث : الوصل والفصل :

إذا كان مبحث الخبر والإنشاء ومبحث التّقديم والتّأخير لا يعدو أن يهتم إلّا بالجملة الواحدة، فإنّ مبحث الفصل والوصل يتعدى الجملة إلى الجملة التي تليها، فلا يقتصر على جملة واحدة، وقد احتل هذا الموضوع مكانة رفيعة في المباحث البلاغية، وكان له شأن عند البلغاء، ولكونه دقيق المسلك، لطيف المأخذ، جعله بعضهم حدّا للبلاغة وقصرها عليه حينما سُئل ما البلاغة فقال : "معرفة الفصل والوصل"، وتلك إشارة واضحة إلى العناية التي خُصَّ بها هذا المبحث[1].

المطلب الأوّل : الوصل :

أوّلا : تعريفه :

الوصل يعني عند علماء المعاني : عطف جملة على أخرى بالواو فقط من دون سائر حروف العطف الأخرى[2].

ثانيا : مواطن الوصل :

أ– إذا قُصِد إشراك الجملتين في الحكم الإعرابي[3]، نحو : علي يقول ويفعل، فجملة (يقول) في محل رفع خبر المبتدأ، وكذلك جملة (ويفعل) معطوفة على جملة (يقول) وتشاركها بأنّها في محل رفع خبر ثاني للمبتدأ[4].

ب– "إذا اتّفقت الجملتين خبرا أو إنشاءً وكانت بينهما جهة جامعة، أي مناسبة تامّة، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْاَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ** ﴾ [الانفطار/ 13–14] اشتملت الآية على جملتين متّحدتين خبرا، متناسبتين في المعنى، وليس هناك من سبب يقتضي الفصل"[5].

ت– "إذا اختلفت الجملتين خبرا وإنشاءً، وأوهم الفصل خلاف المقصود كقولك : لا ولطف الله به، في جواب من سألك : هل تحسنت صحة صديقك"[6]، ولو فصلنا الجملتين لِانقلب القول من الدعاء للصّديق إلى الدعاء عليه.

ونذكر من جملة أحاديث الكتاب بعض الأحاديث التي تجلى فيها الوصل بين الجمل كالتالي :

---

[1] – البلاغة فنونها وأفنانها : فضل حسن عباس، ص392.

[2] – علم المعاني : عبد العزيز عتيق، ص160.

[3] – البلاغة الواضحة : علي الجارم ومصطفى أمين، ص233.

[4] – جواهر البلاغة : أحمد الهاشمين ص182.

[5] – ينظر : علم المعاني لعبد العزيز عتيق، ص168–169.

[6] – ينظر : المرجع نفسه، ص169.

– الحديث الرّابع :

في حديث جبريل عليه السلام مع رسول الله ﷺ والذي يحدثه فيه عن خديجة قائلا: (**فَإِذَا هي أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِن رَبِّهَا ومِنِّي وبَشِّرْهَا ببَيْتٍ في الجَنَّةِ مِن قَصَبٍ لا صَخَبَ فِيهِ، ولَا نَصَبَ**)[1]، والشّاهد هنا قوله في الجملة الأولى : (فاقرأ عليها السّلام)، ثم قوله في الجملة الثانية : (وبشّرها ببيت في الجنّة)، فالجملتين موصولتين بحرف العطف، لأنّ كلتاهما جملة إنشائية، كما نجد بينهما رابطا في المعنى لذلك وجب الوصل بينهما.

– الحديث السابع :

قال ﷺ : (**كمل مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا أَرْبَعٌ : مَرْيَمَ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ**)[2]، وموضع الشّاهد هنا هو العطف بين أسماء خير نساء العالمين، وقد جيء بهذا الوصل لإفادة التّغاير والتّشريك، أمّا التّغاير فهو قولنا : إنّ مريم غير خديجة، وخديجة غير آسية، وأمّا التّشريك فكلّهنّ يشتركن في صفة الكمال.

المطلب الثّاني : الفصل :

أوّلا : تعريفه :

من حق الجمل إذا ترادفت، ووقع بعضها إثر بعض، أن تُربط بالواو لتكون على نسق واحد، ولكن قد يعرض لها ما يوجب ترك الواو فيها، ويسمى هذا فصلا[3].

ثانيا : مواطن الفصل :

أ– كمال الاتّصال :

إذا كان بين الجملتين اتّحاد تام، وذلك بأن تكون الجملة الثانية توكيدًا للأولى، أو بيانًا لها، أو بدلًا منها[4]، ومثال الأول قوله سبحانه وتعالى في سورة يوسف : ﴿ **قُلْنَا حَاشَ لله مَا هَذَا بَشَرًا اِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ** ﴾ [يوسف / 31]، فالجملة الثانية (**إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ**) أكدت الجملة الأولى (**مَا هَذَا بَشَرًا**)، فلزم الفصل، ومثال الثانية قوله تعالى : ﴿ **وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ** ﴾ [الشعراء/132-133] فجاءت الجملة الثّانية بدلا من الأولى فحُقَّ الفصل، ومن أمثلة النّوع الثّالث قول الشاعري :

النّاسُ للناسِ مِن بدوٍ وحاضِرَةٍ بَعضٌ لبعضٍ وإنْ لَم يشعروا خَدَمُ

---

[1] – الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص53.

[2] – المصدر نفسه، ص57.

[3] – جواهر البلاغة : أحمد الهاشمي، ص183.

[4] – علم المعاني : عبد العزيز عتيق، ص161.

فالجملة الثّانية وهي : (بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم) لم تأت إلا لإيضاح إبهام الأولى وهي : (الناس للناس من بدر وحاضرة) فهي بيان لها[1].

ب- **كمال الانقطاع** :

"إذا كان بين الجملتين تباين تام وذلك بأن تختلفا خبرا وإنشاء، أو بأن لا تكون بينهما مناسبة ما ومن أمثلة الأول قول الشاعر :

لا تحسَبِ المجدَ تمرًا أنتَ آكلُه لن تبلغَ المجد حتى تلعَق الصَّبْرا

فبين الجملة الأولى والثّانية تمام التباين، وغاية الابتعاد لِاختلافهما خبرا وإنشاء، وأما مثال الثّاني قول القائل :(كفى بالشيب داءً، صلاحُ الإنسان حفظ الوداد)، فبين الجملتين تباين تام إذ لا مناسبة بينهما في المعنى"[2].

ج- **شبه كمال الاتّصال** :

"هو أن تكون الجملة الثانية جوابا عن سؤال يفهم من الأولى، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ** ﴾ [الذاريات/ 28]، ففُصلت جملة (**قَالُوا لَا تَخَفْ**) عن جملة (**وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً**) إذ الثانية جواب لسؤال يفهم من الأولى، كأنَّ سائلا سأل : (فماذا قالوا له حين رأوه قد أحس منهم خوفا)، فأُجيب : (قالوا لا تخف)"[3].

ومن الأحاديث التي ورد فيها الفصل بين الجمل نورد :

– **الحديث الثّاني عشر** :

في هذا الحديث دلالة على نبوة النّبيّ ﷺ إذ يخبر بما سيكون بعد موته فيقول : (**يَخْرُجُ قَوْمٌ هَلْكَى، قَائِدُهُمُ امْرَأَةٌ، قَائِدُهُمْ فِي الْجَنَّةِ**)[4]*، فهو يقصد أن قوما سيخرجون للحرب فيهلكون، وذاك الّذي وقع في معركة الجمل بعد أن نشبت الفتنة بين المسلمين، ثم تأتي الجملة الثانية (قائدهم امرأة) جوابا لسؤال تثيره الجملة الأولى، وكأنّ قائلا يقول : (ما سبب هلاكهم)، فيكون الجواب : لأنّهم ولّو أمرهم امرأة، وبهذا يتعيّن الفصل بين الجملتين لأنّ بينهما شبه كمال الاتصال.

---

[1] – علم المعاني : عبد العزيز عتيق، ص162.

[2] – ينظر : المرجع نفسه، ص163.

[3] – ينظر : المرجع نفسه، ص164.

[4] – الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص72.

* قال ابن كثير في البداية والنهاية 6/ 212 : منكر جدا.

– الحديث السّابع عشر :

كان النّبيّ ﷺ يوم موته يقول : (**لَا إِلَهَ إِلَّا الله، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ**)[1]، نجد أنّه بين الجملتين قد ترك العطف، وذلك بسبب أنه لا يوجد مناسبة بينهما، فلا يجمعهما رابط في المعنى، لذلك فُصلتا رغم أنّهما اتّفقتا في الخبرية، وهذا ما يسمى بكمال الانقطاع.

[1] - الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص77.

المبحث الرّابع : أسلوب القصر :

المطلب الأوّل : تعريف القصر :

"القصر في اللغة الحَبْسَ وَامْرَأَةٌ مَقْصُورَةٌ وَقَصِيرَةٌ : أَيْ مَحْبُوسَةٌ فِي الْبَيْتِ لَا تُتْرَكُ أَنْ تَخْرُجَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تعالى : ﴿ **حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ** ﴾ [الرحمان/ 72]"[1]

وفي الاصطلاح : "تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص"[2]، فالشّيء الأول مقصور، والشّيء الثّاني مقصور عليه، ونعني بتلك الطّرق الأساليب التي تدل على القصر، وهي كثيرة لكنَّ أشهرها أربعة :

-القصر بالنّفي والاستثناء.

-القصر بـ : إنّما.

-القصر بحروف العطف "لا" و "بل" و "لكن".

-القصر بتقديم ما حقّه التّأخير.

المطلب الثّاني : أنواع القصر :

أوّلا : تبعا لغرض المتكلم :

أ- قصر حقيقيّ :

"وهو أن يختصّ المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع، بأن لا يتعدّاه إلى غيره أصلا"[3]، ومثاله قولنا : لا خالق إلّا الله، حيث قصرنا صفة (الخالق) على الموصوف (الله)، فهو سبحانه يختصّ بهذه الصّفة ولا يتّصف بها غيره.

ب- قصر إضافيّ :

"وهو أن يختصّ المقصور عليه بحسب الإضافة والنّسبة إلى شيء آخر معين، لا لجميع ما عاداه، مثال ذلك : ما محمد إلا مسافر، فإنّك تقصر صفة (السفر) عليه بالنسبة لشخص آخر كزيد مثلا، وليس قصدك أنّه لا يوجد مسافر سواه، إذ الواقع يشهد خلاف ذلك"[4].

---

[1] - مدخل إلى البلاغة العربية : يوسف أبو العدوس، ص112.

[2] - المرجع نفسه، ص112.

[3] - علم المعاني : عبد العزيز عتيق، ص152.

[4] - مدخل إلى البلاغة العربية : يوسف أبو العدوس، ص112-113.

ثانيا : باعتبار طرفيه :

أ- قصر صفة على موصوف :

هو أن تحبس الصّفة على موصوفها، وتختصّ به فلا يتّصف بها غيره، وقد يتّصف هذا الموصوف بغيرها من الصّفات، ويتمّ ذلك بتقديم الصّفة على الموصوف، ومثاله قولك : لا رازق إلا الله، حيث قصرت صفة (الرّازق) على ذات الله سبحانه[1].

ب- قصر موصوف على صفة :

هو أن يُحبس الموصوف على الصّفة ويختصّ بها دون غيرها، وقد يشاركه غيره فيها، ويتمّ ذلك بتقديم الموصوف على الصّفة، ومن أمثلة ذلك قولنا : ما الله إلا خالق كل شيء[2].

وقد استُخدم في بعض أحاديث الكتاب أسلوب القصر، نذكر منها :

- الحديث السّابع :

قال ﷺ : **(لَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا أَرْبَعٌ)**[3]، جاء أسلوب القصر في قوله ﷺ، وذلك من أجل أن يحصر ويعدّد من كمل من النّساء لقلّتهن، وإنّما الرّجال كثير منهم كَمُل، فالمقصور عليه هو (أربع نساء)، والمقصور هو صفة (الكمال)، فقَصرَ صفة الكمال من النّساء على أربع منهنّ فقط، فكان القصر : (قصر صفة على موصوف) وهو قصر حقيقيّ لا إضافيّ، لأنّه لم يكمل غير هؤلاء الأربعة، فلا يتعدّى الكمال لغيرهنّ.

- الحديث التّاسع :

الشاهد في هذا الحديث أنّه بعد تبشير النّبيّ ﷺ لعائشة بتبريء الله لها، طلبت أمّها منها أن تقوم إلى رسول الله ﷺ، فقالت عائشة لها، **(وَاللهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللهَ)**[4]، وقولها (لا أحمد إلا الله) فيه قصر صفة على موصوف، فالحمد صفة قُصرت على الله وحده دون غيره، فلا يحمد معه أحد سبحانه، لذلك كان القصر حقيقيّا.

- الحديث التّاسع والثّلاثون :

وفي هذا الحديث شاهدان، أما الأول فقوله ﷺ : **(مَا أَكْرَمَ النِّسَاءَ إِلَّا كَرِيمٌ)**[5]، جاء النّبيّ ﷺ بأسلوب

---

[1] - مدخل إلى البلاغة العربية : يوسف أبو العدوس، ص113.

[2] - المرجع نفسه، ص113.

[3] - الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص57.

[4] - المصدر نفسه، ص67.

[5] - المصدر نفسه، ص109.

القصر هذا ليحثّ ويوصي بالإكرام للنّساء، وهو قصر صفة الإكرام على الكريم، فـ (الإكرام) مقصور، و (الكريم) مقصور عليه، وأمّا نوع القصر فهو قصر صفة على موصوف، كما أنّه قصر إضافي، إذ لا ينفي أن يتّصف الذي يُكرم النّساء بصفات أخرى، وكما مدح النّبيّ ﷺ من أكرم المرأة، ذمَّ أيضا من أهانها، فمكانة المرأة عظيمة في الإسلام.

وأمّا ثاني الشاهدين فقوله ﷺ : (**وَمَا أَهَانَهُنَّ إِلَّا لَئِيمٌ**)[1]، فالمقصور صفة (إهانة المرأة)، والمقصور عليه أو الموصوف هو (اللئيم)، فالقصر هنا قصر صفة على موصوف، وهو قصر إضافيّ، فقد يحمل هذا اللئيم صفات أخرى كالظلم مثلا.

[1] – الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص109.

الفصل الثّالث : بناء أعمدة البيان في أحاديث الكتاب

تمهيد.

المبحث الأوّل : التشبيه :

- المطلب الأول : تعريفه.
- المطلب الثاني : أنواعه.

المبحث الثّاني : الحقيقة والمجاز :

- المطلب الأوّل : تعريف الحقيقة والمجاز.
- المطلب الثّاني : أقسام المجاز.

المبحث الثّالث : الكناية :

- المطلب الأوّل : تعريفها.
- المطلب الثّاني : أنواعها.

تمهيد :

علم البيان –كما هو معروف– هو أحد الأقسام الرئيسيّة لعلم البلاغة، والغرض الجليل من هذا العلم، هو الوقوف على أسرار كلام العرب، منثوره، ومنظومه، ومعرفة ما فيه من تفاوت في فنون الفصاحة، وتباين في درجات البلاغة، فهو يختصّ أساسا بالألفاظ العربيّة عند الاستعمال، فإن كان استعمالها في ما وُضعت له سميّ ذلك : حقيقة، وإن كان استعمالها بالتّصرف فيها فتتعدّد بذلك طرق التّصرف، وذلك بغية البحث عن الطّرق المختلفة للتّعبير عن المعنى الواحد، ومن بين هاته الطّرق الّتي تعتبر فنون علم البيان نذكر : التشبيه، المجاز، الإستعارة، الكناية.

المبحث الأوّل : التّشبيه :

المطلب الأوّل : تعريف التّشبيه :

التّشبيه في اصطلاح البلاغيّين له أكثر من تعريف، وهي وإن اختلفت لفظا فإنّها متّفقة المعنى، ومن مجموع هذه التعريفات نذكر : "التشبيه بيان أنّ شيئا، أو أشياء، شاركت غيرها في صفة، أو أكثر، بأداة هي : (الكاف) ملفوظة، أو مقدرة، تقرّب بين المشبه، والمشبه به في وجه الشبه"[1].

المطلب الثّاني : أنواعه :

يقسّم البلاغيون التّشبيه إلى عدّة أقسام، وذلك لعدّة اعتبارات[2] :

أوّلا : التّشبيه باعتبار الأداة :

ينقسم إلى :

أ– مرسل : وهو ما ذكرت فيه أداة التّشبيه.

ب– مؤكّد : وهو ما حذفت منه أداة التّشبيه.

ثانيا : التّشبيه باعتبار وجه الشّبه :

له ثلاثة تقسيمات : أ/تمثيل وغير تمثيل، ب/مفصّل ومجمل، ج/ قريب و بعيد.

أ– **تشبيه التّمثيل** : هو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد أمرين، أو أمور.

تشبيه غير التّمثيل : هو ما يكون غير مركب ؛ أي مفردا، وهذا لا يمنع من تعدّد الصّفات المشتركة بين طرفيه.

---

[1] – ينظر : جواهر البلاغة :أحمد الهاشمي، ص219.

[2] – ينظر : المرجع نفسه، ص234،240.

ب ـ **التّشبيه المفصّل** : هو ما ذكر فيه وجه الشّبه.
التّشبيه المجمل : هو ما حذف منه وجه الشّبه.

ت ـ **القريب** : هو ما ينتقل فيه من المشبّه إلى المشبّه به، من غير تدقيق، نظرا لظهور وجهه في بادئ الرّأي.
البعيد : هو ما لا ينتقل فيه من المشبّه إلى المشبّه به، إلّا بعد فكر، وذلك لخفاء وجهه في بادئ الرّأي.

ثالثا : أنواع أخرى للتّشبيه :

أ– التّشبيه المقلوب : جعل المشبّه مشبّها به، بادّعاء أنّ وجه الشّبه فيه أقوى وأظهر.

ب– التّشبيه الضّمني : تشبيه لا يظهر فيه المشبّه والمشبّه به في صورة، بل يلمحان في التّركيب.

ت– التّشبيه البليغ : هو ما حذفت منه الأداة ووجه الشّبه، وهو أعلى مراتب التّشبيه بلاغة، وقوة.

ومن الأحاديث الواردة في كتاب (الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين)، والتي حوت بين طيّاتها فنّ التّشبيه نذكر :

– الحديث التّاسع :

دخل رسول الله ﷺ على الحصان الرّزان عائشة رضي الله عنها، وكان لم يجلس إليها منذ أن قيل فيها ما قيل من إفك، وجعل يطمئنها، وينصحها أيضا بالتّوبة إن كانت قد ألمت بذنب، ثم لم يقم رسول الله ﷺ من مقامه ذاك إلّا وقد أخذه ما كان يأخذه من الشّدة عند الوحي، تقول أمّنا عائشة رضي الله عنها واصفة حاله ﷺ **: (حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الجُمَانِ مِنَ العَرَقِ فِي اليَومِ الشَّاتِ مِنْ ثِقَلِ القَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ)**[1]، فشبّهت رضي الله عنها قطرات العرق على جبينه الشريف ﷺ بالجمان ؛ وهو اللؤلؤ (خرز يبيض بماء الفضة)، وذلك لمشاركتها في اللّمعان، والنّقاء، وهو تشبيه مرسل بالأداة : (مثل)، غير تمثيليّ، مجمل، قريب، غرضه تزيين المشبّه، وبيان مقدار حاله ؛ إذ في تشبيه عائشة رضي الله عنها لقطرات عرق النّبيّ ﷺ باللّؤلؤ بيان لشدّة طهارته ﷺ ، وجماله، وتزيينا له، وإلّا فلم تكن لتمثّل العرق منه بالجمان.

كما أنّ في هذا التّشبيه بيان لشدّة ما كان يتحمّله ﷺ عند نزول الوحي عليه، وهذا ربّما جزء لا يتجزّأ من العناء الذي تكبّده خير خلق الله، وقد كان سيّد المجاهدين والصّابرين، فمالَنا بعد ألف وأربعمائة عام نفرط في سنته

[1] – الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص67.

ونهجر سيرته، وهو الذي تكبّد عناء ومشقّة الدّعوة، ولاقى ما لاقى من آلام أثناء دعوته، والذي لولاه لم يصل هذا الدّين إلينا، بعد فضل من الله ونعمة.

وقد كان التّشبيه في كلام عائشة رضي الله عنها ذا أثر كبير في التّعبير عن المقصود، فقد مدحت لنا النبي ﷺ في قالب بهيّ نبيل في النّفوس عظيم، وهزّت العواطف، و انتقل بنا هذا التّشبيه _نحن الذين لم نشاهد الرسول ﷺ_ من خفيّ إلى جليّ، ومن المعقول إلى المحسوس، وهذا ما حرّك النّفوس، ومكّن المعنى من القلب.

– الحديث الثّاني و العشرون :

يروي الصّحابي الجليل أنس بن مالك عن النّبيّ ﷺ أنّه قال : **(فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى الطَّعَامِ)**[1]، يشبّه النّبيّ ﷺ فضل عائشة على نساء الصّحابة و المؤمنين، بفضل الثّريد (اللّحم) على سائر الأطعمة، وهو تشبيه مرسل بأداة التشبيه (الكاف)، تمثيليّ، مجمل، قريب، الغرض منه بيان حال المشبّه، فالنّبيّ الكريم يشبّه فضل عائشة رضي الله عنها أي نفعها، بفضل الثّريد، وفضل غيرها من النّساء بفضل الطّعام، لأنّ فضل عائشة يغطّي على فضل باقي النّساء، وزائد كزيادة فضل الثّريد على سائر الطّعام، فقد أتى بالمشبّه به لبيان أنّ حال عائشة مع غيرها من النّساء كحال الثريد مع غيره من الطعام، كيف لا وهي الّتي نقلت ربع الشّريعة وعاشت مع رسول الله منذ نعومة أظافرها، فعقلت منه ما لم تعقل غيرها من النّساء، ونهلت منه جلّ أحكام الشّريعة، حتّى وُوريَت الثّرى، وبقيت شمسا تضيء في بيت كلّ موحّد وموحّدة.

وقد دلّ التّشبيه هنا على سموّ خيال النّبيّ ﷺ وسعته، وعمقه، وهو من أبلغ أنواع التّشبيه، لأنّ فيه تمثيلا لمعنى بصورة، أي للمعاني الموهومة بالصّور المشاهدة.

– الحديث الرّابع والعشرون :

(رَحِمَ اللهُ عُمَرَ يَقُولُ الحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا)[2]، هكذا أثنى صلوات ربّي وسلامه عليه على صاحبه الفاروق عمر رضي الله عنه في تشبيه بليغ، إذ جعل النّبيّ ﷺ قول الحقّ كريها، كبير المشقّة، ككراهة مذاق الشّيء المرّ، وهو تشبيه مؤكّد، غير تمثيليّ، مجمل، قريب، بليغ.

وهذا الحديث الشّريف يتحدّث في شأن عمر رضي الله عنه، الذي كان يفرّ منه الشّيطان إذا رآه، وكان يقول

[1] – الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص84.

[2] – المصدر نفسه، ص86.

الحقّ رغم مشقّته على النّفس، فأراد النّبيّ ﷺ أن يقرّ هذا الحال، ويثبّته في الأذهان، فشبّه قول الحقّ بتذوّق المرّ، فالغرض من التّشبيه هنا تقرير حال المشبّه، مع بيان مقداره.

أما بلاغة هذا التّشبيه فتكمن في أنّ النّبيّ ﷺ قد صوّر لنا شيئا معنويا –وهو شعور قائل الحقّ– تصويرا دقيقا، فانتقل بنا من اللاّمحسوس إلى المحسوس، ولعلّ في معنى هذا الحديث تصديقا، ومثالا عن قوله في حديث آخر : (**حُفَّتِ الجَنَّةُ بِالمكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ**)[1]، فقول الحقّ من بين المكاره التي حفّت بها الجنّة.

[1] – حديث صحيح، رواه مسلم في صحيحه، باب الجنة وصفة نعيمها، رقم (2822).

المبحث الثّاني : الحقيقة والمجاز :

المطلب الأوّل : تعريف الحقيقة والمجاز :

عرّف السّكاكي (626هـ) الحقيقة والمجاز بقوله : "الحقيقة اللّغوية هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له، والمجاز هو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتّحقيق، استعمالا في الغير بالنّسبة إلى نوع حقيقتها، مع قرينه مانعة من إرادة معناها في ذلك النّوع"[1]، فالاسم الموضوع بإزاء المسمّى هو حقيقة له، فإذا نقل إلى غيره صار مجازا، والمجاز أولى بالاستعمال من الحقيقة في باب الفصاحة والبلاغة[2].

المطلب الثّاني : أقسام المجاز[3] :

أوّلا : المجاز العقليّ :

ويكون في إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له، ولا يكون إلّا في التّركيب.

ثانيا : المجاز اللّغوي :

ويكون في نقل الألفاظ من حقائقها اللّغوية إلى معان أخرى بينها صلة ومناسبة، وهذا المجاز اللّغوي نوعا :

أ- المجاز المرسل :

وهو مجاز تكون العلاقة فيه بين المعنى الحقيقيّ والمعنى المجازيّ غير المشابهة، وسمّي مرسلا لأنّه لم يقيّد بعلاقة المشابهة، أو لأنّ له علاقات كثيرة.

ب- الاستعارة :

1- تعريفها :

وهي مجاز لغويّ تكون العلاقة فيه بين المعنى الحقيقيّ والمعنى المجازيّ هي المشابهة، وهي في حقيقتها تشبيه حذف أحد طرفيه، وتطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبّه به في المشبّه، فيسمى المشبّه به مستعارا منه، والمشبّه مستعارا له، واللّفظ مستعارا، أما قرينة الاستعارة الّتي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي، قد تكون لفظيّة أو حاليّة (تفهم من سياق الكلام)، وللاستعارة تقسيمات محدّدة نذكرها كالتالي :

2- أقسام الاستعارة [4]:

1.2. باعتبار طرفيها :

1.1.2- **الاستعارة التّصريحيّة** : هي ما صرّح فيها بلفظ المشبّه به.

---

[1] – علم البيان : عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، دط، ت1985، ص35.

[2] – ينظر : المرجع نفسه : ص139.

[3] – ينظر : المرجع نفسه : ص143

[4] – ينظر : المرجع نفسه، ص175-186.

2.1.2- **الاستعارة المكنيّة** : هي ما حذف فيها المشبّه به أو المستعار منه، ورُمز له بشيء من لوازمه.

2.2- باعتبار لفظها :

1.2.2- الاستعارة الأصليّة : هي ما كان اللّفظ المستعار فيها اسما جامدا غير مشتقّ.

2.2.2- الاستعارة التبعيّة : هي ما كان اللّفظ المستعار فيها اسما مشتقّا أوفعلا.

وقد وردت في كتاب (الأربعين في مناقب أمّهات المؤمنين) بعض الأحاديث التي استخدم فيها هذا الفنّ البلاغي نذكر منها :

– الحديث السّابع :

كانت عائشة رضي الله عنها إذا ذكر رسول الله ﷺ زوجته خديجة وأثنى عليها غارت وغضبت وتروي أنه كان يذبح الشّاة ويرسل بها إلى أصدقائها، تقول فأغضبته يوما وقلت : (خديجة ؟)، فأجابها رسول الله ﷺ بقوله : (**إنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا**)[1]، كلمات جمعت فأوعت، وأوجزت فأشبعت، شبّه المصطفى ﷺ المشاعر التي في قلبه تجاه زوجته خديجة برزق ساقه الله إليه، بجامع أنّهما من نعم الله عزّ وجلّ، ثمّ حذف المشبّه به (الرزق)، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الفعل (رزقت)، والقرينة لفظيّة وهي إثبات صفة (الرّزق) لحبّه ﷺ لخديجة رضي الله عنها، والاستعارة هنا مكنيّة، لأن المشبّه به قد حذف، ورمز إليه بشيء من لوازمه، أمّا عن الغرض من العدول عن استعمال الحقيقة في تعبيره ﷺ عن حبه لخديجة –رضي الله عنها – هو رغبته ﷺ في نقل شعوره إلى أمّ المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– حتى تعلم أنّ حبه لخديجة مقذوف في قلبه من الله عزّ وجلّ.

وطريقة تعبيره ﷺ في هذا المثال تفيض بيانا وحكمة وعبرا، كيف لا وقد صدرت ممّن أوتي جوامع الكلم، حيث أنّ استعارته للفظ (الرّزق) بمعنى حبّه لخديجة، تركيب يرسم لنا أولا جمال صورة خديجة رضي الله عنها في ذهن النّبيّ ﷺ، وكم كانت امرأة صالحة، ولولا ذلك ما أحبها خير خلق الله وما ظلّ يثني عليها بعد موتها، وينتقل بنا ثانيا إلى عظم وفاء النّبيّ ﷺ لها، وجميلِ أخلاقه، كما أنّ في تشبيهه للحبّ بالرّزق دلالة على أنّ الحبّ معنى طاهر شريف، ونعمة من الله عزّ وجلّ، ورزق يطلب بالدّعاء كما تطلب الأرزاق الأخرى، لا كما يرسمه بعض المدّعي الذين اتّخذوه ذريعة –وما أقبحها– لمعصية الله عزّ وجلّ، وفي هذا يقول ﷺ : (**ولا يَحْمِلَنَّكم اسْتِبْطاءُ الرِّزقِ أن تَأخذُوهُ بِمعصيةِ اللهِ ، فإنَّ اللهَ لا يُنالُ ما عِندَه إلا بِطاعتِه**)[2].

---

[1] – الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص57.

[2] – حديث حسن صحيح، رواه البيهقي في شعب الإيمان، باب الزهد وقصر الأمل، حديث رقم : (9891)، والبغوي في شرح السنة، حديث رقم : (4111).

– الحديث التّاسع :

عائشة الطّاهرة، كانت مع رسول الله في غزوة غزاها، وفي عودته نزلوا منزلا فانقطع عقدها فبقيت تبحث عنه، ورحل الجيش، واحتملوا الهودج على أنّها فيه لخفّتها، ثم وجدت عقدها، فعادت فلم تجدهم، فلزمت مكانها علّهم يفقدونها، فيرجعون إليها، تقول رضي الله عنها وأرضاها : **(فَبَيْنَما أنَا جَالِسَةٌ في مَنْزِلِي، غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ)**[1] وفي هذا القول مجاز لغويّ بالاستعارة، حيث شبّهت رضي الله عنها عينها وهي في تلك الحال من غمّ وتعب ونعاس لما حدث لها، بالإنسان الّذي يغالبها، فغلبها بجامع مقاومة كلّ منهما، ثم حَذفت المشبّه به، ورمزت إليه بشيء من لوازمه، وهو الفعل (غلبتني)، و القرينة هنا لفظيّة، وهي إثبات الغلبة للعين، والاستعارة هنا مكنيّة لأنّ المشبّه به قد حُذف ورمز إليه بشيء من لوازمه.

أسهمت الاستعارة هنا في بيان حالة عائشة رضي الله عنها وما حلّ بها، وحملتنا على تخيّل شدة التّعب، والغمّ الذي كانت تصارعه، حتى استسلمت له، فكان هذا التعبير في صورة موجزة وباليسير من الألفاظ، كما جسّدت الاستعارة في تعبير عائشة رضي الله عنها معنى جميلا، وهو رعاية الله عزّ وجلّ لأوليائه، فبالنّوم ينقطع تفكير عائشة رضي الله عنها فيم أغمّها وأقلق راحتها.

– الحديث التّاسع :

لما خرجت عائشة رضي الله عنها مع أمّ مسطح لقضاء حاجتها، وكان ذلك بعد أن نقهت من مرضها، علمت يومها بما يقال فيها من إفك، فذهلت، واستأذنت رسول الله ﷺ بأن تأتي أبويها لتتيقّن الخبر منهما، فأخبرتها أمّها بما جرى، وهوّنت عليها، لكن للبهت حرقة لو أصابت شامخات الجبال صرن رميما، تقول رضي الله عنها في وصف حالها يومئذ : **(فَبَكَيْتُ تِلكَ اللَّيْلَةَ حتَّى أصْبَحْتُ لا يَرْقَأُ لي دَمْعٌ ولَا أكْتَحِلُ بنَوْمٍ)**[2].

في هذا التّعبير مجاز لغويّ بالاستعارة، إذ شبّهت النّوم، وأخذ الرّاحة منه بإحدى أدوات الزّينة المشهورة آنذاك وهي (الكحل) بجامع تأثيرهما على العين، ثمّ حذفت المشبّه به (الكحل)، ورمزت إليه بشيء من لوازمه وهو الفعل (أكتحل)، والقرينة لفظيّة، وهي إثبات الاكتحال بالنّوم، والاستعارة هنا مكنيّة لأنّ المشبّه به قد حذف، ورمز إليه بشيء من لوازمه.

كان للاستعارة أو المجاز اللغويّ في هذا المثال دور جليّ في بيان وقع ذلك الخبر على قلب الصّدّيقة عائشة

[1] – الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص62.

[2] – المصدر نفسه، ص64.

رضي الله عنها بإيجاز، وفي حملنا على تقدير شدّة حزنها وحرقتها، إذ حرمت النّوم ولم يرقأ لها دمع، حتى ظُنّ أن الحزن فالق كبدها، كما أسهمت الاستعارة في تجسيم شعورها رضي الله عنها في قالب حزين مجازيّ يحدث أثرا في نفس كل مؤمنة اقتدت بها، كيف لا وهي البراء المبرّأة في كتاب الله عزّ وجلّ، ولقد كان هذا الحدث خيرا لها، نفس ولبيت النّبوّة كما في قوله تعالى : ﴿ **لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ** ﴾ [النور/11].

المبحث الثّالث : الكناية :

المطلب الأوّل : تعريف الكناية :

"لفظ أطلق، وأريد به لازم معناه، مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصليّ ؛ نحو : زيد طويل النّجاد، تريد بهذا التركيب أنّه شجاع عظيم"[1].

ونشير في هذا المقام إلى الفرق بين الكناية والمجاز الّذي يكمن في أنّ إرادة المعنى الحقيقيّ الأصليّ في الكناية واردة، في حين أنّ المجاز ينافي ذلك.

المطلب الثّاني : أنواعها[2] :

أوّلا : الكناية **باعتبار المطلوب بها** تنقسم إلى ثلاثة أقسام ؛ فإنّ المطلوب بها قد يكون صفة من الصّفات وقد يكون موصوفا وقد يكون نسبة :

أ– الكناية الّتي يطلب بها صفة من الصّفات وهي نوعان :

1–كناية قريبة :

هي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بغير واسطة بين المعنى المتنقّل عنه، والمتنقّل إليه مثل: رفيع العماد عن الطويل.

2–كناية بعيدة :

هي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بواسطة، أو بوسائط نحو : فلان كثير الرّماد كناية عن المضياف.

ب– الكناية الّتي يراد بها نسبة أمر لآخر إثباتا، أو نفيا فيكون المكنيّ عنه نسبة، وهي نوعان:

1–أن يكون ذو النسبة مذكورا فيها.

2–أن يكون ذو النّسبة غير مذكور فيها.

ت– الكناية الّتي يكون المكنيّ عنه فيها موصوفا.

---

[1] – ينظر : جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص287.

[2] – ينظر : المرجع نفسه، ص288-290.

ثانيا : الكناية **باعتبار الوسائط** أربعة أنواع :

أ– التعريض : أن يطلق الكلام، و يشار به إلى معنى آخر يفهم من السّياق.

ب– التلويح : هو الّذي كثرت وسائطه بلا تعريض.

ت– الرمز : هو الّذي قلّت وسائطه مع خفاء في اللّزوم.

ث– الإيماء أو الإشارة : هو الّذي قلّت وسائطه مع وضوح اللّزوم بلا تعريض.

ونذكر من جملة أحاديث الكتاب بعض الأحاديث التي ورد فيها استخدام الكناية، وهي كالتالي :

– الحديث الحادي والثّلاثون :

تقول الصّدّيقة عائشة رضي الله عنها عن السّيّدة زينب بنت جحش في هذا الحديث أنّها نالت شرفا عظيما لا يبلغه شرف، كيف لا وهي الّتي زوّجها الله نبيّه في الدّنيا بعد طلاقها من زيد بن حارثة، الّذي كان يدعى زيد بن محمد بالتّبنّي، وذلك لأنّ حالها لم تستقم مع زيد، فلمّا بطل التّبني بقوله تعالى : ﴿**ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ**﴾ [سورة الأحزاب/5]، وطلّقها زيد، تزوّجها ﷺ كما نزل في قوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا** ﴾[سورة الأحزاب/37]، ثم تردف أمنا عائشة رضي الله عنه الحديث بذكر فضل أم المؤمنين زينب رضي الله عنها، وأن الرسول ﷺ قال يوما لأزواجه وهنّ حوله : (**أَسْرَعُكُنَّ بِي لُحُوقًا أَطْوَلُكُنَّ بَاعًا**)[1]، **وهذا تبشير من** رسول الله ب ﷺ لزينب بسرعة لحوقها به، وأنّها زوجته في الجنّة.

ونجد في قوله ﷺ : (أطولكنّ باعا) كناية بالرّمز عن صفة، وموصوف، فهو يطلب بهذه الكناية صفة كثرة الصّدقة أوّلا، ثمّ ينتقل بنا إلى الموصوف وهي السّيّدة زينب بنت جحش رضي الله عنها، فكنّى أوّلا بطول الباع عن كثرة الصّدقة، و كنّى ثانيا بكثيرة الصّدقة عن السّيّدة زينب رضي الله عنها، وقد روي أنّ عائشة قالت : (**فَكُنَّا نقدّر بَين أَيْدِينَا، فَلَمَّا مَاتَتْ زَيْنَبُ عَرَفْنَا أَنَّهُ يُرِيدُ الصَّدَقَةَ**)[2]، وبالتّالي فإنّ الغرض من هذه الكناية هو التّشويق لأنّ النّبيّ ﷺ لم يذكر لنسائه اسم التي ستلحق به أوّلا، بل اكتفى بذكر منقبة من مناقبها، وذلك لعلمه بأنّ سؤالهنّ كان عن فضول شديد، سببه الرّغبة في اللّحوق به، ومرافقته ﷺ في الجنّة، وقد نالت زينب هذا الشّرف العظيم، إذ كانت أول نساء النبي ﷺ لحوقا به بعد موته، وفي هذا الحديث بيان لفضل الصّدقة، وإثبات ودليل على صدقه ﷺ ومعجزته.

[1] – الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص96.

[2] – المصدر نفسه، ص96.

– الحديث التّاسع والثّلاثون :

كان الصّحابة رضي الله عنهم لشدّة حرصهم على نيل رضا الله عزّ وجلّ، كثيرا ما يسألون رسول الله ﷺ عن أحبّ الأعمال، وأكثرها قربة من الله، فكان من بين إجابات ﷺ قوله : (**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُم لأهلِه وأنا خيركم لأهلي، ما أكرمَ النِساءَ إلّا كريمٌ ولا أهانَهنَّ إلا لئيمٌ**)[1].

هذا الحديث من بين الوصايا الّتي خَصّ سيّد الخلق بها نساء الأمّة، والأهل ككلّ، يقول في هذا الحديث أنّ خير النّاس، خيرهم لأهله وفي هذا الحديث كناية عن نسبة نفيا بالتّعريض، إذ أنّه ﷺ أطلق الكلام وأشار به إلى معنى آخر يفهم من السّياق، فالأوّل هو أنّ خير النّاس خيرهم لأهله ؛ أي الّذي يكرم أهله وزوجته ويعاملها بالحسنى وباللّين والبرّ، أما الثّاني المشار إليه فهو نفي صفة الخيريّة عن الشّخص الّذي لا يكرم أهله بل يؤذيهم، والّذي ليس فيه خير لهم، والغرض من هذه الكناية إذن هو النّصح والإرشاد، فالنّبيّ الكريم يوجه الصّحابة رضوان الله عليهم إلى خير الأعمال وأكثرها قربة من رضوان الله، وينصحهم بإكرام الأهل والنّساء خاصّة، كما نصحهم في حديث آخر بقوله : (**خَيْرُ النّاسِ أنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ**)[2]، وذلك حتى يكونوا من الذين ينتمون إلى هذه الخيرية المذكورة في الحديث، وبلاغة هذه الكناية تكمن في أنها أعطتنا الحقيقة مصحوبة بدليلها.

[1] – الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص109

[2] – ينظر : المعجم الأوسط : الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد، دار الحرمين للطباعة والنشر، القاهرة، دط، 1995م، ج6، ص58، الحديث رقم5787.

الفصل الرّابع : بناء أعمدة البديع في أحاديث الكتاب

تمهيد.

المبحث الأوّل : المحسّنات المعنوية :

- المطلب الأول :الطباق (تعريفه، أنواعه).
- المطلب الثاني : المقابلة (تعريفها، الفرق بينها وبين الطباق).
- المطلب الثالث : أسلوب الحكيم (تعريفه).

المبحث الثّاني : الحقيقة والمجاز :

- المطلب الأوّل : الجناس (تعريفه، أنواعه).
- المطلب الثّاني : السّجع (تعريفه، أقسامه).

تمهيد:

يعدّ عبد الله بن المعتز الخليفة العباسي أوّل من أسّس لفن البديع، ووضع قواعده حينما جمع أساليبه في كتاب سمّاه (البديع)، وإن كان قد أشير إلى مصطلح البديع قبل ابن المعتز، ولكن دون توضيح دقيق كما فعل هذا الأخير، حيث يقول في كتابه عن أسبقيته لجمع فنون هذا العلم : "وما جمع فنون البديع ولا سبقني إليه أحد، وألّفته سنة أربع وسبعين ومائتين"[1]، وقد توالت التآليف بعد ابن المعتز حتى وصل عدد المحسّنات البديعية عند عبد الغني النّابلسي في بديعيته إلى مائة وستين[2].

والمحسّنات البديعية هذه على ضربين : معنويّ، يرجع إلى تحسين المعنى أوّلا وبالذّات، وإن كان بعضها قد يفيد تحسين اللّفظ أيضا، وضرب لفظيّ، يرجع إلى تحسين اللّفظ أصلا، وإن تبع ذلك تحسين المعنى لأنّ المعنى إن عُبر عنه في لفظ حسُن استتباع ذلك زيادة في تحسين المعنى[3].

المبحث الأوّل : المحسّنات المعنويّة :

المطلب الأوّل : الطّباق :

أوّلا : تعريفه :

"هو الجمع في العبارة الواحدة بين معنيين متقابلين على سبيل الحقيقة أو على سبيل المجاز ولو إيهاما، ولا يشترط كون اللّفظين الدّالين عليهما من نوع واحد كاسمين، أو فعلين، فالشّرط التّقابل في المعنيين فقط"[4].

ثانيا : أنواع الطّباق :

أ- طباق الإيجاب :

هو ما صُرّح فيه بإظهار الضّدين، أو هو ما لم يختلف فيه الضّدان إيجابا وسلبا، ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ **فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ** ﴾ [الفرقان/70]، وقوله أيضا : ﴿ **بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ** ﴾ [الحديد/13].

---

[1] – البديع : أبو العباس عبد الله بن المعتز (ت399هـ)، تح : عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 2012م، ص72.

[2] – مدخل إلى البلاغة العربية : يوسف أبو العدوس، ص237.

[3] – علم البديع : عبد العزيز عتيق، ص 76.

[4] – البلاغة العربية ؛ أسسها، وعلومها، وفنونها : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الدار الشامية، بيروت، لبنان، ط1، 1996م، ج2، ص377.

ب- طباق السلب :

هو ما لم يصرّح فيه بإظهار الضّدين، أو هو ما اختلف فيه الضّدان إيجابا وسلبا، نحو قوله تعالى : ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [الزمر/9]، فالمطابقة هنا هي في الجمع بين (يعلمون، ولا يعلمون)، وهي حاصلة بإيجاب العلم ونفيه لأنهما ضدان[1].

وسنحاول في هذا المبحث تقصّي بعض الأحاديث التي ورد فيها الطّباق، وهي كالآتي :

- الحديث السّادس :

حُسن العهد، وحفظ الودّ، ورعاية حرمة الصاحب والمعاشر حيّا، وميتاً، من الأخلاق الحميدة التي وجب على المسلم أن يتحلى بها، وخير من حفظ الودّ للصّاحب والعشير؛ رمز الوفاء النّبويّ رسول الله ﷺ، الذي كان يقول عن خديجة بعد موتها (**إِنِّي رُزِقْتُ حُبَّهَا**)، وكان يذبح الشّاة ويرسل بها إلى أصدقاء خديجة، وكان يبرّها بعد موتها بإكرامه لخلائلها، وممّا جاء في هذا الحديث من الطّباق قوله ﷺ عن خديجة : (**وَاللهِ لَقَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِيَ النَّاسُ، وَآوَتْنِي إِذْ رَفَضَنِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَرُزِقَتْ مِنِّي الوَلَدَ إِذْ حُرِمْتُمُوهُ**)[2]، وفي القول هذا ثمانية أضداد، كلّها لم تختلف إيجابا وسلبا وإنّما صُرّح بإظهار الضّدين فيها وهي كالاتي : (آمنت، كفر)، (آوت، رفض) (صدّقت، كذب)، (رُزقت، حُرم)، كما أن الطّباق في هذه الأضداد وقع بين نوع واحد وهو (فعل مع فعل)، وأما الغرض من هذا الطّباق هو إبراز فضائل أمّ المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- بالمقارنة مع غيرها، فذكر صنيعها الطّيب بأنّها آمنت بالّذي دعاها إليه النّبيّ ﷺ، وصدّقت بالوحي الذي أتاه، وواسته بمالها، وكان كل أولاده منها -إلا إبراهيم- فذِكر هذه المناقب والتّعقيب عليها بما يقابل صنيع النّاس جعل فضائلها تبرز أكثر، فناسب ذلك أن يُستعمل الطّباق حتى يدرك السّامع الفرق الشّاسع بين منزلة خديجة عند رسول الله ﷺ، ومنزلة غيرها -رضي الله عنها- ونوع الطّباق في هذا الحديث هو طباق الإيجاب.

- الحديث الثّامن عشر :

تعدد أمّ المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- في هذا الحديث ما فُضلت به على نساء النّبيّ ﷺ، ومن جملة ما أوردت نذكر قولها : (**وَكَانَ يُصَلِي وَأَنَا مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَمْ يَكُنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ بِأَحَدٍ مِنْ نِسَائِهِ غَيْرِي، وَكَانَ يَنْزِلُ عَلَيهِ الوَحْيُ وَهُوَ مَعِي، وَلَمْ يَكُنْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ وَهُوَ مَعَ أَحَدٍ مِنْ نِسَائِهِ غَيْرِي**)[3].

---

[1] - علم البديع : عبد العزيز عتيق، ص79-80.

[2] - الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : ابن عساكر، ص56.

[3] - المصدر نفسه، ص69.

والشّاهد البلاغي في قولها هو : (كان يصلي، لم يكن يفعل)، (كان ينزل، لم يكن ينزل)، وهذه الأضداد اختلفت إيجابا وسلبا، أمّا السّر البلاغي وراء هذا الطّباق هو أن ذكر الأضداد يكون مدعاة للانتباه وحمل المخاطب على المقارنة بين الضّدين أي بين صلاة النّبيّ ﷺ وعائشة معترضة بين يديه، وترك هذا الفعل مع غيرها، وبين نزول الوحي وهو مع عائشة، وعدم نزوله وهو مع غيرها، وبالتّالي يُقر من سمع هذا القول أن عائشة –رضي الله عنها– قد فُضلت على نساء النّبيّ ﷺ، وأي كرامة تبلغ كرامة نزول الوحي إلّا في بيتها ؟!

ومن جهة أخرى نرى أن إيراد هذه الأضداد كان من قبيل الفخر، إذ إنّ أمّ المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– تفخر على ضرائرها بما نالته من شرف هم لم يبلغوه، والطّباق في قولها هو طباق سلب.

– الحديث العشرون :

يقول أبو بكر الصّديق –رضي الله عنه– يوم وقف خطيبا في النّاس، يُعلِمهم بأنّ رسول الله ﷺ قد مات : **(مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتْ)**[1]، وفي قوله –رضي الله عنه– طباق وقع بين اسم (حيٌّ)، و فعل (مَاتَ)، وهو طباق إيجاب غرضه البلاغي هو توجيه النّاس بعد الحيرة التي وقعوا فيها، وإثبات الحكم لهم بما هم مؤمنون به، إذ الكلّ يسلّم بأنّ الإله حيّ لا يموت، وأنّ سائر البشر يموتون، وأنّ الرّسول ﷺ بشر كسائر البشر، كُتب عليه الموت كما قال له الله تعالى : ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ** ﴾ [الزمر/30]، فإيراد الأضداد هذا كان له وقع على النّفوس حتى تستفيق من الشرود الذي أصابها وتصدّق أنّ الرسول ﷺ قد مات.

– الحديث الثّامن والثّلاثون :

لما كان يوم موت النّبيّ ﷺ جاءه جبريل مع ملك الموت يستأذن فقال للنبي ﷺ **: (هَذَا مَلَكُ المَوتِ يَسْتَأْذِنُ عَلَيكَ، وَلَمْ يَسْتَأْذِنْ عَلَى أَحَدٍ مِنْ قَبْلِكَ، وَلَا يَسْتَأْذِنُ عَلَى آدَمِيٍّ بَعْدَكَ)**[2]، والشّاهد في قوله هو إيراد الأضداد : (يستأذن، لم يستأذن)، وفي هذا الحديث دلالة على إكرام النّبيّ ﷺ وتفضيله على سائر الخلق باستئذان ملك الموت عليه، وتخييره بين البقاء في الدّنيا أو الالتحاق بالرّفيق الأعلى، والطّباق في قوله جاء عن طريق السّلب لأنّ المعنيين المتضادّين من لفظ واحد، أحدهما منفيّ والآخر مثبت، وقد نُفي الفعل المضارع بأداة النّفي (لم) فتحوّل من الحاضر للماضي، فملك الموت قبل رسول الله ﷺ لم يستأذن أحدا ليقبض روحه، ثم حتّى لا يتوقع حدوث الفعل في المستقبل نُفي الفعل مرة أخرى بأداة تنفي حدوثه في المستقبل وهي : (لا النافية)، وفي هذا دلالة على

[1] – الأربعين في مناقب أمّهات المؤمنين : ابن عساكر، ص82.

[2] – المصدر نفسه، ص107.

منزلة النّبيّ ﷺ وقدره ورفعة شأنه عند الله عزَّ وجلَّ، بأن اختصه بأمور لم تجر على سائر الخلق إلا عليه ﷺ.

المطلب الثّاني : المقابلة :

أوّلا : تعريفها :

يعرّفها الخطيب القزويني في كتابه (الإيضاح في علوم البلاغة) فيقول : "وهو أن يؤتى بمعنيين متوافقين، أو معاني متوافقة، ثم بما يقابلهما، أو يقابلها على التّرتيب، والمراد بالتّوافق خلاف التقابل"[1]، ومثال المقابلة قوله تعالى : ﴿ **فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا** ﴾ [التوبة/82]، والبلاغيون مختلفون في أمر المقابلة، فمنهم من يجعلها نوعا من المطابقة، ومنهم من جعلها نوعا مستقلا من أنواع البديع، وهذا هو الأصحّ لأنّ المقابلة أعمّ من المطابقة[2].

ثانيا : الفرق بين المقابلة والطّباق:

أ– المطابقة لا تكون إلا بالجمع بين ضدين، أمّا المقابلة فتكون غالبا بالجمع بين أربعة أضداد ؛ ضدّان في صدر الكلام، وضدان في عجزه، وقد تصل المقابلة إلى الجمع بين عشرة أضداد ؛ خمسة في الصّدر، وخمسة في العجز.

ب– المطابقة لا تكون إلا بالأضداد، على حين تكون المقابلة بالأضداد وغير الأضداد[3].

ومن أمثلة المقابلة الواردة في الأحاديث نذكر :

– الحديث السّابع :

الشّاهد البلاغيّ في هذا الحديث قوله ﷺ : (**كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا أَرْبَعٌ**)[4]، وكما هو واضح فإنّ المقابلة تمت بين ثلاثة أضداد يقابلها مثلها وهي كالآتي : (كمل، لم يكمل)، (رجال، نساء)، (كثير، إلا أربع)، والمعنى الذي يراد أن تعيه القلوب من خلال ذكر هذه الأضداد، هو الانتباه من الغفلة ودعوة النّساء خاصة إلى السعيّ وراء إصلاح أحوالهنّ، وقد وَعظ النّبيّ ﷺ النّساء يوما، ودعاهنَّ إلى أن يتصدقنَّ لما علم من كثرة دخولهن النّار فقال ﷺ : (**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ مِنَ الاِسْتِغْفَارِ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**)[5].

---

[1] – الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني، ص259.

[2] – علم البديع : عبد العزيز عتيق، ص86.

[3] – المرجع نفسه : ص86-87.

[4] – الأربعين في مناقب أمّهات المؤمنين : ابن عساكر، ص57.

[5] – صحيح مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النايسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1991م، ج1، ص86.

والمقابلة في هذا الحديث جاءت بين (كثرة الرّجال الكاملين) و(قلّة النّساء الكاملات)، والمقصود بالكمال هنا ؛ التّناهي في جميع الفضائل وخصال البرّ والتّقوى، وقد حُشرت هذه المتضادات مع بعضها حتى يُنار القلب، وتزداد البصيرة، وتعمل النّساء حتى يلحقن بالرّكب.

– الحديث التّاسع :

وقعت المقابلة في هذا الحديث في قول أمّ المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– : **(إِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا حَتَّى اِسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ –وَاللهِ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ– لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ –وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ– لَتُصَدِّقُونَنِي)**[1]، وشاهدنا البلاغي عند قولها : (إن قلت لكم أنّي بريئة) وقولها (ولئن اعترفت لكم بأمر)، وبين قولها (لا تصدّقوني) وقولها (لتصدّقونني)، فأمّ المؤمنين في هذا الموقف قد يئست من تصديق النّاس لها واعترافهم ببراءتها، وغرض المقابلة هنا، بيان ما كان من حال النّاس من تشبثهم باتهامها وعدم تصديقها رغم إنكارها للأمر، ومن خلال المقابلة الّتي جاءت بها أبانت موقفهم من الحادثة، وهو عدم التصديق، سواء أعترفت بذنب –هي براء منه– أو أثبتت براءتها، وفي هذه المقابلة أيضا دلالة على ثبات أمّ المؤمنين، ووعيها التّام بما يجري حولها، وتسليمها الأمر لله رغم شدّة ما لاقت من الأمر الجلل الذي حلّ بها.

الحديث السّادس والعشرون :

قال النّبيّ ﷺ : **(إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا)**[2] وقوله هذا مرتبط بحديثه مع عائشة –رضي الله عنها– حين خيّرها الله ونساءَ النّبيّ بين الحياة الدّنيا وزينتها، وبين الله ورسوله والدّار الآخرة، فاختارت الله ورسوله، وطلبت من رسول الله ﷺ أن لا يخبر امرأة من نسائه بالّذي أجابت به، وذلك غيرة منها، وحرصا على التّفرد بالنّبيّ ﷺ، فأخبرها النّبيّ ﷺ بأنّه إن سُئل سيجيب، وعلّل ذلك بقوله أنّ الله لم يبعثه معنتا يشدّد على النّاس، ويلزمهم ما يصعب عليهم آداؤه، أو يتركهم يزلّون دون توجيه، وإنّما بُعث معلّما للنّاس الخير، ميسّرا ومسهّلا لهم الأمر، ووجهه التّيسير في هذا المقام ؛ أنّه إذا أخبر بما أجابت عائشة –رضي الله عنها–، اقتدت بها سائر نسائه ﷺ، وسَهُل عليهنَّ اختيار الله ورسوله والدّار الآخرة.

واستعمال المقابلة في هذا القول، غرضه هو أن يبيّن رسول الله ﷺ لأمّ المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– أنّه لو فعل ما طلبت كان غير حريص على الخير والنّفع لأزواجه، وحاشاه أن يكون كذلك –صلوات ربّي وسلام عليه– فقد أثنى عليه ربه ﷻ فقال : ﴿ **لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ**

[1] – الأربعين في مناقب أمّهات المؤمنين : ابن عساكر، ص66.

[2] – المصدر نفسه، ص89.

رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة/128].

المطلب الثّالث : أسلوب الحكيم :

– تعريفه :

"يقصد بأسلوب الحكيم، تلقّي المخاطب بغير ما يترقّبه، إمّا بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإمّا بحمل كلامه على غير ما كان يقصد، إشارة إلى أنّه كان ينبغي أن يسأل هذا السّؤال، أو يقصد هذا المعنى، ومن أمثلة ذلك : **(قيل لشيخ هرم : كم سنك ؟ فقال : إني أنعم بالعافية)**، وفي هذا السؤال ترك الشيخ الهرم الإجابة عن السؤال الموجه إليه، وصرف سائله في رفق عن ذلك، وأخبره أن صحته موفورة، إشعارا للسائل بأن السؤال عن الصحة أولى وأجدر"[1].

ومثاله ما جاء من الأحاديث مُستعمَلا فيه هذا الأسلوب حديث واحد لرسول الله ﷺ، نورده مع الشّرح كالتّالي :

– الحديث العاشر :

عن أمّ المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– أنّها سألت النّبيّ ﷺ فقالت : **(مِنْ أَزْوَاجِكَ فِي الجَنَّةِ ؟ قَالَ : أَنْتِ مِنْهُنَّ)**[2]، وجوابه ﷺ لها لا علاقة له بسؤالها، و إنّه لمّا علم أنّ علمها بحالها ؛ هل تكون من أزواجه ﷺ في الجنّة، كان أهمّ عندها، وهو المقصود من سؤالها، بشّرها النّبيّ ﷺ بأنّها ستظلّ زوجته في الدّنيا، وستكون زوجته كذلك في الجنّة بإذن الله، والسّر البلاغي في هذا الأسلوب أنّ إجابة النّبيّ ﷺ كانت موافقة لمقصدها من السؤال، لا حملاً على ظاهره، وميزة الأسلوب هذا أيضا، كونه يكشف ما في العقول ويعطي جمالا على المعاني المترتّبة.

[1] – علم البديع : عبد العزيز عتيق، ص182.

[2] – الأربعين في مناقب أمّهات المؤمنين : ابن عساكر، ص69.

المبحث الثّاني : المحسّنات البديعية اللّفظيّة :

المطلب الأوّل : الجِناس :

أوّلا : تعريف الجناس :

"هو أن يتّفق اللّفظان في النّطق ويختلفان في المعنى وهو نوعان ؛ لفظي، ومعنوي"[1].

ثانيا : أنواع الجناس اللّفظيّ[2] :

أ- الجناس التّام :

هو ما اتّفق فيه اللّفظان في نوع الحروف، وعددها، وهيئاتها، وترتيبها مع اختلاف في المعنى، فإن كانا من نوع واحد كاسمين أو حرفين سمّي مماثلا ومستوفيا نحو: (رَحْبة) ؛ فناء الدّار، (رَحَبة) ؛ واسعة، و إن كانا من نوعين كفعل واسم سمّي مستوفيا نحو : اِرعَ (الجَار) ولو (جَارَ).

ب- الجناس النّاقص :

هو ما اختلف فيه اللّفظان في عدد الحروف بزيادة حرف في الأوّل نحو : دوام (الحال) من (المحال)، ويسمّى مَردوفًا، أو في الوسط نحو : (جدي)، (جهدي)، ويسمّى مُكتنَفًا، أو في الآخر نحو : (الهواء)، (الهوان)، ويسمّى مُطرَّفًا.

ت- الجناس المطلق :

هو ما توافق ركناه في الحروف وترتيبها بدون أن يجمعهما اشتقاق كقوله صلّى الله عليه وسلّم : (**أسلَمُ سالَمَها اللهُ، وغِفَارُ غفَرَ اللهُ لها، وعُصَيَّةُ عصَتِ اللهَ ورسولَه**)، فإن جمعهما اشتقاق نحو : ﴿ **لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ** ﴾ [الكافرون/2-3] فيسمّى جناس الاشتقاق.

ث- الجناس المذيّل والجناس المُطَرَّف :

فالأوّل يكون الاختلاف بأكثر من حرفين في آخر الكلمة نحو : (الصّفا) ، (الصّفائح)، و الثّاني يكون الاختلاف بزيادةٍ من حرفين في أوّل الكلمة نحو : (طائف) (اللّطائف).

ج- الجناس المضارع والجناس اللّاحق :

فالأوّل يكون باختلاف ركنيه في حرفين لم يتباعدا مخرجًا إمّا في الأول نحو : (دامس)، (طامس)، أو في الوسط نحو : (ينهون)، (ينأون)، أو في الأخير نحو : (الخيل)، (الخير)، والثّاني يكون في متباعدين إما في الأوّل نحو: (هُمَزة)، (لُمَزة)، أو في الوسط نحو : (شهيد)،(شديد) أو في الآخر نحو : (أمْن)، (أمْر).

---

[1] - ينظر : جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص325.

[2] - ينظر : المرجع نفسه، ص326-327.

ومن بين الأحاديث الواردة في كتاب (الأربعين في مناقب أمّهات المؤمنين) والّتي حوت الجناس نذكر :

– الحديث الثّالث :

جاء في هذا الحديث جناس لفظيّ تامّ في قول عائشة –رضي الله عنها– : (**مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ لِرَسُولِ الله ﷺ، مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ**)[1]، وقع الجناس في هذا الحديث بين (ما) الأولى، و(ما) الثّانية، إذِ اتّفقتا في نوع الحروف، وعددها، وهيئتها، وترتيبها مع اختلاف المعنى، فالمقصود بـ (ما) الأولى (ما النّافية) : أي أنّها تقول لم أغر على امرأة لرسول الله ﷺ، أمّا (ما) الثّانية : فهي (ما) المصدرية الّتي تدخل على الفعل، ويمكن تعويضها بمصدر كقولنا : (غيرتي على خديجة)، وهو جناس تامّ مماثل لأنّ اللّفظين من نوع واحد وهما حرفان.

اختلاف معنيَيْ (ما) الأولى، و(ما) الثانية في هذا المثال، شكّل الجناس الّذي كان حجر الأساس في بناء المعنى بالسّهل المتماثل من الألفاظ، وهو أنّ غيرتها –رضي الله عنها– على خديجة أكثرُ من غيرتها على سائر نساء النّبي ﷺ.

– الحديث الثّالث :

جاء في هذا الحديث أيضا جناس لفظيّ في قول عائشة –رضي الله عنها– : (**وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَبُّهُ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا نَصَبَ فِيهَا**)[2]، وقد وقع الجناس بين لفظي : (قصب) و (نصب)، وهو جناس ناقص لاحق، إذ إنّ اللّفظين اختلفا في حرفين متباعدين مخرجًا في أوّل الكلمة، فلم تتوفّر الشّروط الأربعة للجناس، وإنّما جاء الاختلاف في المعنى مع الاختلاف في الحروف ؛ فالقصب اللّؤلؤ المجوّف والياقوت، أمّا النّصب فهو التّعب البدنيّ والنّفسيّ، وقد جسّد الجناس معنى فضيلةٍ من فضائل السّيّدة خديجة –رضي الله عنها– لمّا أراحت النّبيّ ﷺ نفسيّا و جسديا، إذ كان يلجأ إليها في بادئ أيّام الوحي، فآمنت به أوّلا، وصدّقته دون أن تتعبه كما فعل الكثير آنذاك، فكافأها الله عزّ وجّل ببيت في الجنّة، لا تعب فيه ولاكدّ.

– الحديث السّابع عشر :

جاء في هذا الحديث في قول عائشة –رضي الله عنها– وهي تروي آخر لحظات حياة رسول ﷺ : (**إِنَّ مِن نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ: أَنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي،...، وأَنَّ اللَّهَ جَمَع بيْنَ رِيقِي ورِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ**)[3]، وقد وقع الجناس بين لفظي (ريقي) و (ريقه)، وهو جناس لفظيّ ناقص لاحق وذلك لاختلاف اللّفظين في حرفين متباعدين مخرجا

[1] – الأربعين في مناقب أمّهات المؤمنين : ابن عساكر، ص52.

[2] – المصدر نفسه، ص52.

[3] – المصدر نفسه، ص76.

في آخر الكلمة.

والسّرّ البلاغيّ للجناس هنا هو أنّ الألفاظ المتناسقة المتماثلة الّتي استعملتها أمّنا عائشة –رضي الله عنها– كانت خير خدم للمعنى الّذي قصدته، إذ إنّها جمعت بين حروف الكلمتين (ريقه، ريقي) لتشير إلى شدّة الاتّصال بينها وبين رسول الله ﷺ حتّى في آخر لحظات حياته.

– الحديث التّاسع :

جاء في هذا الحديث جناس لفظّيّ والشّاهد في قوله ﷺ ناصحًا عائشة –رضي الله عنها– **(إنَّ العَبْدَ إذَا اعْتَرَفَ بذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عليه)**[1]، والجناس في هذا الحديث وقع بين (تاب) الأولى، والثّانية، وهو جناس تامّ مماثل، إذ اتّفق اللّفظان في الأمور الأربعة، واختلف معنى كلٍّ منهما فالمقصود بـ (تاب) الأولى : توبة العبد وهي النّدم، والاعتراف، والاستغفار، والعزم على عدم العودة للذّنب، في حين أنّ المقصود بـ (تاب) الثّانية توبة الله عزّ وجلّ وهي قبول توبة العبد، وتثبيته عليها.

و قد كان في تتابع اللّفظين مناسبة وتوافق في المعنى، وهو أّن توبة الله عزّ وجلّ على عباده ومغفرته لهم قريبة تتبع توبتهم واعترافَهم.

المطلب الثّاني : السّجع :

أوّلا : تعريفه :

"هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير وأفضله ما تساوت فِقَرُهُ"[2].

ثانيا : أقسامه :

وهو على ثلاثة أقسام[3] :

أ– المُطَرَّف :

هو ما اختلفت فاصلتاه في الوزن واتّفقت في الحرف الأخير نحو قوله تعالى : ﴿ **مَّا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلّهِ وَقَاراً وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً** ﴾ [نوح/ 13–14].

---

[1] – الأربعين في مناقب أمّهات المؤمنين : ابن عساكر، ص66.

[2] – ينظر : جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص330.

[3] – ينظر : المرجع نفسه، ص330–331.

ب- المُرَصَّع :

وهو ما كان فيه ألفاظُ إحدى الفقرتين كلها أو أكثرها مثل ما يقابلها من الفقرة الأخرى وزنًا وتقفيةً كقول الحريريّ : (هُوَ يَطْبَعُ الأَسْجَاعَ بِجَوَاهِرِ لَفْظِهِ وَيَقْرَعُ الأَسْمَاعَ بِزَوَاجِرِ وَعْظِهِ).

ت- المتوازي :

هو ما كان الاتّفاق فيه في الكلمتين الأخيرتين فقط نحو قوله تعالى : ﴿ **فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ** ﴾ [الغاشية/ 13-14].

"وأحسن هذه الأنواع هو ما تساوت فقراته نحو قوله تعالى : ﴿ **فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ**﴾ [الواقعة/ 28-30]، ثمّ ما طالت فقرته الثّانية نحو : ﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوى** ﴾ [النّجم/1-2]، ثمّ ما طالت فقرته الثّالثة نحو : ﴿ **النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ** ﴾ [البروج /5-7]."[1]

من الأحاديث الواردة في كتاب (الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين والّتي حوت فنّ السّجع نذكر :

- الحديث السّادس :

جاء شاهد السّجع في قول عائشة -رضي الله عنها- : (**لَم أعُدْ بِذِكرِها بِسُوءٍ ما بَقِيتُ، فلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ مَا لَقِيتُ**)[2]، بين لفظيّ : (بقيت) و (لقيت)، حيث كان الاتّفاق في الكلمتين الأخيرتين فقط، وزنا وقافية، وهذا ما يسمّى بالسّجع المتوازي، ولعلّ السّرّ البلاغيّ في هذا السّجع، هو تنوّع الألفاظ مع الدّقة في وصف مجريات الأحداث الّتي وقعت بين عائشة رضي الله عنها ورسول الله ﷺ ،كما ساعد على فهم المعنى.

- الحديث التّاسع :

يدافع الله سبحانه وتعالى عن المؤمنين، ويتوب على المعترفين المستغفرين، وهذا ما نلمسه في قوله ﷺ لعائشة رضي الله عنها : (**إنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بذَنْبٍ فاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وتُوبِي إلَيْهِ، فَإنَّ العَبْدَ إذَا اعْتَرَفَ بذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عليه**)[3]، وقد وقع السّجع بين اللّفظين الأخيرين من كل جملة، وهو سجع متوازي، لحصول الاتّفاق في الوزن، والقافية، فكلاهما ينتهي بالياء، والهاء، وهذا السّجع ساهم في تقديم معنى مغفرة الله عن المذنبين التائبين في قالب

[1] - ينظر : جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص331.

[2] - الأربعين في مناقب أمّهات المؤمنين : ابن عساكر، ص56.

[3] - المصدر نفسه، ص66.

موسيقيّ بديع لطيف.

– الحديث الثّامن والثّلاثون :

جاء في هذا الحديث حوار ملك الموت مع رسول الله ﷺ، حين جاءه قابضا، والشّاهد منه قول ملك الموت : (**فَإِنْ أَمَرْتَنِي أَنْ أَقْبِضَ نَفْسَكَ قَبَضْتُهَا، وَإِنْ أَمَرْتَنِي أَنْ أَتْرُكَهَا تَرَكْتُهَا**)[1]، وفي هذا الحديث وقع السّجع بين اللّفظين : (قبضتها) و (تركتها)، وهو سجع متوازي، حيث اتّفقت الفاصلتان فيه وزنا وقافيةً ؛ والمتأمّل في كلا الفاصلتين يدرك أن السّجع هنا رسمَ لنا معنى عظيما جليلا، بموسيقى تحاكي ذلك المعنى، وهو تخييره ﷺ بين البقاء في الدّنيا، ولقاء الرّفيق الأعلى، فاختار الرّفيق الأعلى و فارق هذه الدّنيا.

[1] – الأربعين في مناقب أمّهات المؤمنين : ابن عساكر، ص108.

خاتمـــــــــة

خاتمة:

بعد هذه المعايشة الممتعة لكلام النبي ﷺ، والسّماع عن أخبار زوجاته رضي الله عنهنّ، وما ورد في مناقبهنّ وفضلهنّ، وبعد تحليل الأحاديث تحليلا بلاغيا، خلُص البحث إلى جملة من النتائج نوردها كالآتي :

أوّلا : النتائج الخاصة :

-اتّخذت معظم أحاديث الكتاب الطّابع الخبري، لتناسبه مع الغرض من إيراد هذه الأحاديث، وهو ذكر مناقب أمّهات المؤمنين، وفضائلهنّ، وما اختُصت به كلّ واحدة منهنّ، فالمقام هذا يستوجب أن تكون الجمل المستعملة فيه هي الجمل الخبرية، كما أنّ بعض الأحاديث التي كانت عبارة عن محادثاته ﷺ مع زوجاته، حوت الأساليب الإنشائية، من أمر، ونهي، واستفهام، ونداء، ويختلف استعمال هذه الأساليب باختلاف الغرض منها، ولكنّ الغالب منها، هو الّذي حَمِل معنى النّصح والإرشاد، فالنّبي ﷺ يقف موقف المرشد، والموجّه لما فيه خير لزوجاته ﷺ.

-إنّ مما يزيد الكلام جمالا وحسنا، أن يُجعل اللّفظ في رتبة قبل رتبته، أو بعدها، وهذا ما يسمى بالتّقديم والتّأخير، وقد جاءت بعض أحاديث الكتاب على هذا النّسق، وذلك للإشارة إلى غرض معين يختلف باختلاف المقام، بين التّخصيص، والتّشويق، والإنكار، وغيرها، كما كان لهذا الأسلوب وقع على الأذن، يروق للنّاس مسمعه، ويلطف عندهم موقعه.

-وفي مبحث القصر، جاء استخدامه في سياقات الأحاديث النّبوية، بطريق واحد، وهو القصر بالنّفي والاستثناء، وأمّا تواجده البليغ فتارة يجيء للتّشويق، وتارة للنّصح والإرشاد، وغيره.

-كانت أحاديث النّبيّ ﷺ تمتاز بالدّقة المتناهية في اختيار مواضع الفصل، عندما يجب الفصل، والعدول إلى الوصل متى احتاج إليه.

- اتّسمت أحاديث الكتاب بقلة الصّور البيانية المستعملة، وذلك حسب طبيعة كلامه ﷺ في الأحاديث التي كانت معظمها عبارة عن محادثاته مع زوجاته رضي الله عنهنّ -كما ذكرنا- فالصّور البيانية تكون مستدعاةً بشكل كبير عندما يكون كلامه ﷺ عبارة عن أحكام وأمثال وخطب، التي يحتاج فيها إلى العدول عن الحقيقة إلى المجاز، حتى يمكّن المعنى في ذهن المستمع، إلا أنّنا نجد بعض الأحاديث قد استعملت فيها هذه الصّور البيانية لأغراض معينة، مثل استعمال التّشبيه لغرض تزيين المشبه، وبيان مقدار حاله، أما ورود الاستعارة في الاحاديث فقد

كان لغرض نقل شعور وحالة المتكلم إلى قلب المتلقّي وتمكين المعنى في نفسه كتمكّنه في نفس المتكلم، وأمّا استعمال الكناية فكان لغرض النّصح والإرشاد تارة، ولغرض التّشويق تارة أخرى، وفي كلّ موضع استعمل فيه المجاز كان المقام يقتضي ذلك.

-جاءت أحاديث النّبي ﷺ مزيّنة بألوان البديع المعنويّة واللفظيّة، وقد كان لهذه المحسّنات أثر على الأسلوب والمعنى، يختلف هذا الأثر من أسلوب بديعي إلى آخر، فالطباق مثلا كان ذا أثر مزدوج، فهو يأتي بالكلمة ويثبتها ويدعمها بعكسها، حتّى تستقرّ في الأذهان، أمّا الأثر الثّاني فهو خاص بالشّكل، فيزيده جمالا ورونقا ووقعا طيّبا، والأثر نفسه تحدثه المقابلة، إضافة إلى أنّها تؤكّد المعنى، وتقرّبه إلى ذهن المستمع، كما ورد أيضا من ألوان البديع المعنويّ أسلوب الحكيم، هذا الأسلوب الذي يكشف، ويبين حذاقة البليغ وحكمته.

ثانيا : النتائج العامة :

- كلام النّبيّ ﷺ يمثل وجه البلاغة العربية في أرقي أساليب اللغة، ويثبت أن بلاغته ﷺ تفوق البلاغة البشريّة، وقد لوحظ بعد تحليل كلامه ﷺ، أن الفنون البلاغية قد تعاضدت ثلاثتها لتُشكل لنا هذا البناء الجميل، ثمّ إنّ هذه الفنون البلاغية لم تكن مقصودة لذاتها وإنّما مقتضى الحال والموقفُ الذي يتحدث فيه النّبيّ ﷺ، هو الّذي يفرض استعمال وجه معين من أوجه البلاغة العربية.

-امتاز كلامه ﷺ بتنوع أساليب البلاغة وأفانينها، من تقديم وتأخير، واستعمال لأسلوب القصر، إضافة إلى استخدام مختلف ألوان البيان، من كناية، ومجاز، واستعارة، وتشبيه، ويتخلل ذلك كلّه اعتماد النّبيّ ﷺ على أدوات البناء البديعي، من محسّنات لفظيّة، ومعنويّة، والّتي تزيد الكلام جمالا فوق جماله، واستخدامه ﷺ لهذه الأساليب البلاغيّة كان بالقدر المطلوب الّذي لا مبالغة فيه، ولا إجحاف، وإنّما كان كلامه مطابقا لعين البلاغة.

-الملاحظ من كلام النّبيّ ﷺ أنّه مزج مع حسن التّركيب، وفنّ التّصوير، عذوبة الألفاظ وجمال معانيها، فكان كلامه ﷺ يحوي فنون البديع من : طباق، ومقابلة، وجناس، وسجع، مع الإشارة إلى أنّ ورود هذه الفنون وزخارف القول على لسانه، كان على عفو الخاطر، وعلى السّجية، دون تكلف، أو تصنع، ودون إعداد مسبق لها.

-تميزَ الحديث النّبويّ بجملة من الخصائص والسّمات البلاغيّة، الّتي جعلته يتربّع على قمّة البيان البشريّ، وينفرد بأسلوب مغاير لكلّ الأساليب، ولعلّ أبرز هذه الخصائص وأشهرها هي خصّيصة الإيجاز، فقد كان كلامه ﷺ كما قال عنه الجاحظ قليل عدد الحروف، كثير المعاني، والذي يمثل بحق هذه الخصيصة، هو ما قاله النّبيّ ﷺ

عمّا آتاه الله : (**أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِم**)، وقد صدق رسول الله ﷺ، وصُدِّقَ، فالكل يشهد له بذلك، ويعترف له بالأفضلية صلوات ربي وسلامه عليه.

-جاءت أغلب أحاديث الكتاب مرويّة عن أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقد بلَغت رضي الله عنها من الفصاحة، والبيان مبلغا عظيما، وأحاديث الكتاب تشهد على ذلك، فرغم صغر سنها، إلّا أنَّها من أكثر الصّحابة رواية للحديث، ولا عجب في من اصطفاه الله بأن يعيش في كنف خاتم النّبيّين وأشرف المرسلين وخليل الله محمّد ﷺ، أن يكون على هذا القدر من البلاغة، حتى يُبلِّغ عن النّبيّ ﷺ الناسَ، ما كان يخرج من فمه الشّريف من درر، وما كان يقوم به من أفعال، ليُقتدى بسنته ﷺ، والله تعالى يقول لنساء النّبيّ ﷺ : ﴿ **وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ** ﴾ [الأحزاب/34]، وفي بعض التّفاسير ورد أنّ المقصود من الحكمة، هو أحكام الدّين التي لم ينزل بها القرآن، والمعروفة بسنّة النّبيّ ﷺ، وقد بلَّغت أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ووفَّت، فجزاها الله عنَّا خير الجزاء وأوفره.

ملـــــــــحق

ملحق : أحاديث كتاب الأربعين في مناقب أمّهات المؤمنين :

ذكر ما وقع إلي مما ورد في مناقب أم المؤمنين خديجة أم هند (تكنى بولد كان لها)

– الحديث الأول :

حدثني إسماعيل بن إياس بن عفيف، عن أبيه، عن جده عفيف أنه قال : كنت امرأً تاجراً ، فقدمت منى أيام الحج، وكان العباس بن المطلب امرأ تاجراً، فأتيته أبتاع منه وأبيعه، قال : فبينا نحن إذ خرج رجل من خباء يُصلي فقام تجاه الكعبة، ثم خرجت امرأة فقامت تُصلي، وخرجَ غلامٌ فقامَ يصلي معَهُ، فقلتُ : يا عباس ما هذا الدين ؟ إنّ هذا الدين ما ندري ما هو ؟ فقال : هذا محمد يزعم أن الله تبارك وتعالى أرسله ، وأنَّ كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه ، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد ، آمنت به ، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب آمن به. قال عفيف : (وليتني كنتُ آمنتُ به يومئذ فكنتُ أكون ثانياً) .

هذا حديث صحيح من حديث إسماعيل بن إياس بن عفيف، عن أبيه إياس عن جده عفيف الكندي : أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه

أخبرنا عمي المذكور، وأستاذي المسمى بالإسناد المقدم عن محمد بن إسحاق قال : وكانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله له وصَدَّق بما جاء به. قال : ثم إنَّ جبريل عليه السلام أتى رسول الله حسين افترضت عليه فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت له عين من ماء مزن فتوضأ جبريل ومحمد عليهما السلام، ثم صلى ركعتين وسجد أربع سجدات ثم رجع النبي الله وقد أقر الله عينه، وطابت نفسه وجاءه ما يحب من الله فأخذ بيد خديجة حتى أتى بها العين فتوضأ كما توضأ جبريل ، ثم ركع ركعتين وأربع سجدات هو وخديجة . ثم كان هو وخديجة يصليان سِرّاً.

– الحديث الثاني :

عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : خَيْرُ نِسائِهَا مَرْيَمُ [بنت عمران] ، وخَيْرُ نِسائِها خديجة بنت خويلد عليهما السلام.

هذا حديث صحيح من حديث أبي جعفر عبد الله أبي عبد الله الطيار، عن، عن عمه أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وصحيح من رواية أبي المنذر هشام بن عروة أبي عبد الله.

– الحديث الثالث :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : (ما غرت على امرأة لرسول الله له ما غِرْت على خديجة، مِمّا كُنتُ أسمعُ

مِنْ ذِكرِهِ لَها، ومَا تَزوجني إلا بعدَ مَوْتِها بثلاث سنين، ولقد أمره ربُّه أن يُبشرها ببيت في الجنة من قَصَبٍ لا نَصَبٌ فِيهِ وَلا صَخَبَ).

هذا حديث صحيح من حديث أبي المنذر هشام بن عروة.

– الحديث الرابع :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسولَ اللهِ ، هَذه خديجة أَتَتْكَ ، معها إناء فيه إدام –طعام أو شراب– فإذا هِيَ أَتَتْكَ فاقرأ عليها السَّلام مِنْ رَبِّها ومني ، وبَشِّرْها بِبَيت في الجنَّةِ من قَصَبٍ لا صخَبَ فِيهِ ولا نَصَبَ.

هذا حديث صحيح متفق عليه من حديث أبي هريرة.

– الحديث الخامس :

قال رسول الله : أخبرني جبريل عن الله تبارك وتعالى : إن الله يقول : لا يتم نكاح إلا بولي وشاهدين وأنا ولي خديجة.

هذا حديث غريب جداً من حديث أبي حمزة أنس بن مالك ك بن النضر بن ضمضم الخزرجي الأنصاري.

– الحديث السّادس :

قالت عائشة رضي الله عنها : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة لم يكد يسأم من ثناء عليها، واستغفار، فذكرها ذات يوم فاحتملتني الغيرة فقلت : لقد عوضك الله من كبيرة السن، قالت : فرأيت رسول الله لها غضب غضباً أسقط في جلدي وقلت في نفسي : اللهم إنك إن أذهبت غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم عني لم أعد أذكرها بسوء ما بقيت. فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ما لقيت قال : « كيف قلت ؟! والله لقد آمنت بي إذ كفر بي الناس وأوتني إذ رفضني الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، ورزقت مني الولد إذ حرمتموه». قالت : فغدا علي بها وراح شهراً).

هذا حديث غريب من حديث عبد الله البهي، عن أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها، لا يعلم رواه عنه غير وائل بن داود الليثي الكوفي رضي الله عنه والله أعلم.

– الحديث السّابع :

عن عائشة قالت : ما غرت على نساء النبي لا إلا على خديجة وإني لم أدركها، قالت : وكان رسول الله لا إذا ذَبَحَ الشاةَ فيقولُ : أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة. قالت : فأغضبتُه يَوماً فقلت : خديجة ؟ فقالَ : إِنِّي رُزقت حُبَّها». هكذا رواه مسلم في صحيحه، وحفص أبو عمر بن غياث بن طلق بن معاوية بن الحارث كوفي قاضيها أخرج البخاري حديثه في الصحيح والله أعلم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كَمُلَ مِنَ الرِّجالِ كثيرٌ ، ولم يَكْمُل مِنَ النِّساء إلا أربع : مُريم بنتُ عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة محمد بنتُ، وفضل عائشة على النّساء كفضلِ الثّريدِ على كفضلِ الثّريد على سائر الطعام).

ذكر ما ورد في مناقب أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها

عائشة أم عبد الله بنت أبي بكر الصديق، كنّاها بذلك رسول الله ﷺ

– الحديث الثّامن :

عن عائشةَ أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ : (أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَين ، أرى أنَّ رجلاً يَحمِلُكَ فِي سَرَقَةٍ فيقولُ : هذه امرأتُكَ ، فأكْشِفُ فَأَراكِ ، فأقولُ : إن كان هذا مِنْ عِنْد الله يمضيه)

اتفق الأئمة على صحته.

– الحديث التّاسع

عَنْ عَائِشَةَ زَوْجَ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قالَتْ : كَانَ رسولُ الله لا إذا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَراً أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِه فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خرج بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مَعَهُ. قالت عائشة رضي الله عنها : فأَقْرَعَ بَيْنَنَا في غَزْوَةٍ غَزاها، فخرج فيها سَهْمي فخرجتُ مَعَ رسول الله له وذلك بَعْدَمَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ فَأَنا أَحْمَلُ فِي هَوْدَجِي وَأَنْزَلُ فِيهِ مَسِيرَنَا، حتى إذا فَرَغَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من غزوه ، وقَفَلَ ودَنَوْنَا مِنَ المدِينَةِ آذَنَ لَيلةً بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فشَيْتُ حتَّى جَاوَزْتُ الجيش، فلما قَضَيْتُ مِنْ شَأني أقبلت إلى الرحل فلمَسْتَ صَدْري فإذا عِقْدِي من جزع ظفَارٍ قَدِ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالتَمسْت عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابتغاؤه، وأَقْبَلَ الرَّهْط الذين كانوا يَرْحَلُونَ بي فحمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوه على بعيري الذي كُنتُ أَرْكَبُ، وهم يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، قَالَتْ : وكانت النساءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافاً لَمْ يُهَبَّلْنَ ولم يَغْشَهُنَّ اللّحْمُ، إنما يأكلن مِنَ الطَّعَامِ، وَلَمْ يَسْتَنْكِرِ القَوْمُ ثِقَلَ الهَوْدَجِ حِيْنَ رَحَلُوه ورفَعُوهُ، وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا، وَوَجَدت عِقْدِي بعد ما اسْتَمَرَّ الجَيْشُ فَجِئتُ منازلَهُم وليس بها داعٍ ولا مُجيب، فتيَّمْتُ مَنزِلي الذي كُنْتُ فِيهِ، وظَنَنْتُ أَنَّ القَوْمَ سَيَفْقِدُوني فيَرجعُونَ إليَّ. فبينا أنا جالسةٌ في مَنْزِلِي غَلَبَتْني عَيني فَنِمْتُ، وكان صفوانُ بنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِي ثُمَّ الذكواني قَدْ عَرَّسَ مِنْ وَرَاء الجيش فأدلج فأصبحَ عِنْدَ مَنْزِلي، فَرأى سوادَ إِنْسانِ نائم فأَتَانِي فَعَرَفَنِي حَيْنَ رَآنِي، وَقَدْ كانَ يَرانِي قَبْلَ أَن يُضرَبَ الحِجابُ علي فاستيقظتُ باسترجاعه حينَ عَرفَني ، فخمَّرْتُ وَجْهِي بِجلبَابِي، ووالله ما يُكَلِّمُني كلمةً ولا سَمِعْتُ منه كلمةً غير استِرْجَاعِه، حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَه فَوَطِئَ على يَدِهَا فَرَكِبتُها فانْطَلَقَ يَقُودُ بي الرَّاحِلَة حتَّى أتيْنَا الجَيْشَ بَعْدمَا نَزَلُوا موغرين في نَحْرِ الظَّهيرةِ. فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِي شَأْنِي، وكان الذي تولَّى كبره عبد الله بْنُ أَبي ابن سلول. فقدِمْنَا المدينة، فاشتكيتُ حِينَ قدمنا المدينةَ شَهْراً، والناسُ يَفِيضُونَ في قَولِ أَهْلِ الإِفْكِ، وَلا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذلكَ وَهُو يُرِيبُني في وجعي أَنِّي لا أَعْرِفُ مِنْ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اللطف الذي كنت أرى مِنْه حين أشتكي، إنما يَدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فَيُسَلِّمَ

ثُمَّ يَقولُ : كيف تيكُمْ ؟ فَذاك يريبني ولا أَشْعُرُ بالشَّرِّ حَتى خَرَجْتُ بَعْدَمَا نَقَّهت، وَخَرَجَت مَعِي أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزُنَا، ولا نَخْرُجُ إلا ليلاً إلى لَيْل ، وذَاكَ قَبْلَ أَنْ تَتَّخِذ الكنف قَريباً مِنْ بُيُوتِنَا، وأَمْرُنَا أَمْرُ العَرَب الأول فِي التَّنَزُهِ نَتَأذَى بالكنف أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا، فانْطلَقْتُ أنا وأم مِسْطَح وهي بنت أبي رُهم بنِ الْمُطَّلبِ بنِ عَبْد مَنَافٍ، وأمها ابنة صخر بن عامرٍ خالةً بكر الصديق، وابنها مسطح بن أُثَاثَةَ بنِ عَبَّاد بن المطلب فأقبلت أنا وبنت أبي رُهم قبل بيتي حِينَ فَرِغْنَا مِنْ شَأْنِنَا فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَح فِي مِرْطِها فَقَالَتْ : تَعِسَ مِسْطَحٍ ، فقُلتُ لَها : بِئْسَ ما قلتِ ، أَتَسمِّينَ رَجُلاً قَدْ شَهِدَ بَدْراً قالَتْ : أَيْ هَنْتَاه، أَوَلَمْ : ما قال ؟ قُلتُ : ومَاذَا قَالَ ؟ قالَتْ : فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ فازدَدْتُ مَرَضاً إلى مَرَضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله ثُمَّ قالَ : كَيْفَ تِيكُم ؟ قُلْتُ : أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ قَالَتْ : وأَنَا حِينَئِذٍ أريدُ أنْ أَتَيَقَّنَ الخَبَر مِنْ قِبَلِها، فأذِنَ لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فَجِئْتُ أَبَوَيْ فقلت لأمي : يا أماه، ما يتحدث الناس ؟ قالت : يابنية، هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّها ولَها ضرائرُ إلا كَثَّرْنَ عَلَيها قالَتْ : قلتُ : سبحان الله، وقد تحدَّثَ الناسُ بهذا ؟ قالت : فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يَرْقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي. ودعا رسول الله علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استَلْبَث الوحيُ يَسْتَشِيرُهُما فِي فِراقِ أَهْلِهِ قالت : فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالذي يَعْلَمُهُ مِنْ براءة أهله، وبالذي يَعْلَمُ فِي نَفْسِه لَهُمْ مِنَ الودَّ، فقال : يا رسول الله، هم أهلك ولا نعلم إلا خيراً. وأما علي بن أبي طالب فقال : لَمْ يُضَيِّق الله عليك، والنِّسَاءُ سواها كثير، وإنْ تَسْأل الجارية تَصْدُقْكَ، قالَ : فدعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بريرة فقال : أي بَرِيرةُ، هَلْ رأيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ مِنْ عائشةَ ؟ قالَتْ لَهُ بَرِيرةُ : وَالذي بعثك بالحقِّ إنْ رأيتُ عَلَيْها أَمْراً قَط أَغْمَصُهُ عَليها أكثَرَ مِنْ أَنها جاريةٌ حَديثة السِّنِ تنام عَنْ عجين أهلها فتأتي الدَّاجن فتأكله قالَتْ : فقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على المنبر فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول قالَتْ : فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ عَلى المنبر : يا مَعْشَرَ الْمُسلمينَ ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قد بَلَغَ أَذَاه فِي أَهْلِ بَيْتِي، فَوالله مَا عَلِمْتُ عَلى أَهْلي إلا خيراً ولقد ذكرُوا رَجُلاً ما عَلِمْتُ عَليهِ إلا خيراً، وما كانَ يَدْخُلُ عَلى أَهْلي إلا مَعِي فقامَ سعدُ بنُ معاذ الأنصاري فقال : أنا أَعْذَرُكَ مِنْهُ يا رسُول الله إن كَانَ مِنَ الأوس ضَرَبْنَا عُنقَهُ، وإنْ كانَ مِنَ إخوانِنَا الخَزْرَجِ أَمَرتنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ. قَالَتْ : فقام سعد بن عُبادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الخَزْرَج وكانَ رَجُلاً صالحاً، ولكن اجْتَهَلَته الحَمِيَّةُ فقال لسَعدِ بنِ معاذ اكذبت لعَمْرُ الله لا تقتله ولا تَقْدِرُ على قَتْلِهِ، فقامَ أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ وهُوَ ابْنُ عَم سعدِ بنِ معاذ فقال لسعد بن عُبادَةَ : كذبت لعمرُ اللهِ لَنَقْتُلَنَّهُ فإِنَّكَ مُنافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ المنافقين، فثار الحيَّانِ الأوسُ والخَزْرَجُ حتى هَمُوا أَنْ يَقْتَتِلُوا ورسول الله قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله يُخَفِّضُهُم حتى سكتوا، وسَكَتَ. قالَتْ : فَبَكَيْتُ يَوْمي ذَلِكَ لا يَرقَأُ لي دَمْعٌ ولا أَكْتَحِلُ بنوم، ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم وأبواي يظنان أن البكاء فالق كَبِدِي، فبَيْنَاهُما جَالسانِ عِنْدي وأنا أبكي استأذنَتْ عَلَيَّ امرأةٌ مِنَ الأنصار فأذِنْتُ لَها، فجلست تبكي، قالتْ فبينَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جَلَسَ، قالت : ولم يَجْلِس عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ فِي مَا قِيلَ، ولَقَدْ لَبِثَ شَهْراً لا يُوحى إليه في شأني بشيءٍ، قالَتْ : فَتَشَهدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حِينَ جَلَسَ ثُمَّ قَال أَمَّا بَعْدُ، يا عائشةُ فَإِنَّهُ بَلَغَني عَنْكِ

كَذَا وَكَذَا، فإِنْ كُنْتِ بَرِيئةً فَسَيُبَرِّئُكَ اللهُ، وإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بذَنْبٍ فاستَغْفِرِي الله وتُوبِي إليه، فإِنَّ العَبْدَ إِذا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيهِ، قالَتْ : فلم قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مَقَالَتَهُ قلص دَمْعِي حتَّى ما أُحِس مِنْهُ قَطرَةً فقلتُ لأبي : أجب عني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيما قال، فقال : والله ما أدري ما أقولُ لرسُول الله صلّى الله عليه وسلّم فقلت لأمي : أجيبي عني رسُولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فقالت : والله ما أدري ما أقولُ لِرَسُولِ الله صل الله صلّى الله عليه وسلّم، فقلت وأنا جارية حديثة السِّنِّ لا أقرأ كثيراً مِنَ القُرآنِ : إِنِّي والله لَقَدْ عَرَفْ أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فإن قُلْتُ لَكُمْ إني بريئة –والله يعلم أني بَرِيئةً– لا تُصَدِّقُونِي بِذلِكَ وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بأمرٍ –والله يعلم أني بريئة– لتصدَّقُونَنِي، وإني والله ما أجد لي ولَكُمْ مَثَلاً إِلا كَمَا قَالَ أبو يوسف ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ والله الْمُسْتَعانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ** ﴾. قالَتْ : ثُمَّ تَحَوَّلت فاضْطَجَعْتُ عَلى فراشي، قَالَتْ : وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة، وأنَّ اللهَ مُبَرِئي ببراءة، ولكن والله ما كُنتُ أَظُنُّ أَن يَنزِلَ في شَأْنِي وَحْيٌ يُتْلَى، ولَشَأْنِي كَانَ أَحْقَرَ فِي نَفْسِي مَنْ أن يتكلم الله في بوحي يُتلى، ولكن كُنتُ أَرْجُو أَنْ يَرى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في النوم رُؤْيا يُبرِّئُنِي الله بها قالَتْ : فَوالله ما رام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مجلسه ولا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ البَيْتِ أَحَدٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ على نبيه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عِنْدَ الوَحي حتّى إِنَّهُ لَيَتَحدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ العَرقِ فِي الْيَوْمِ الشات مِنْ ثِقَلَ القَوْلِ الذي أُنْزِلَ عليه، قالَتْ : فأَمَّا سُرِّي عَنْ رسولُ الله لا وَهُوَ يَضْحَكُ فَكانَ أَوَلَ كَلِمَةٍ تَكلَّم بِهَا أَنْ قَالَ : أَبْشِرِي يا عائشة، أَمَّا الله فقد بَرَّأَكَ، فقالت أمي : قومي إلى رَسُولِ الله صلّى الله عليه وسلّم، فقلت : والله لا أقوم إليه ولا أَحْمَدُ إلا الله، هُوَ الذي أَنزَلَ بَراءتي، قالَتْ : فَأَنزَلَ الله : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُم** ﴾ عشر آيات، فأنزَلَ الله في هذه الآيات براءتي. قالت : فقال أبو بكر –وكانَ يُنْفِقُ على مِسْطَح لقرابَتِهِ مِنْهُ وفَقْرِهِ– : واللهِ لا أُنْفِقُ عَلَيْهِ شَيئاً أبداً بعد الذي قال في عائشة. فأنزل الله تعالى : ﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّه لَكُم** ﴾.

قال حبانُ بنُ مُوسى : قَالَ عبد الله بن المبارك : هَذِهِ أَرْجَى آية في كتاب الله.

فقال أبو بكرٍ : إِنِّي لأحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ الله لي، فَرَجَعَ إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقَالَ : لا أنزعها مِنْه أبداً. قالت عائشة : وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سأل زينب بنت جحش زوج النبي الله صلّى الله عليه وسلّم عَنْ أمري قال : ما عَلِمْتِ أَوْ مَا رأيتِ ؟ فقالت : يا رسُولَ اللهِ أَحْمِي سَمْعي وبَصَري، والله ما عَلِمْتُ إلا خيراً. قالتْ عائشة : وهي التي كانَتْ تُسامِيني مِنْ أَزْواج النبي الله، فعَصَمَهَا اللهُ بالورع وطفقت أختها حَمْنَةٌ بنتُ جَحْش تحارب فهلكت فين.

– الحديث العاشر :

عن أبي محمد مولى الغفاريين أن عائشة قالت : (قلت للنبي له : مَنْ أزواجك في الجنَّة ؟ قالَ : أَنتِ مِنْهُنَّ)

هذا حديث حسن من حديث أبي سلمة يوسف بن يعقوب بن عبد الله الماجشون

وقد صح عن عمار بن ياسر أنه قال : (إنّها زوجته في الدنيا والآخرة).

عن شعبة، عن الحكم قال : سمعت أبا وائل قال : لما بَعَثَ عَليٌّ عماراً والحسَنَ إلى الكوفَةِ لِيَسْتَنْفِرَهُم خَطَب عَمارٌ فقال : إني لأعلم أنها زوجته في الدُّنْيا والآخرة ولكن الله ابتلاكُمْ لِتَتَّبعوه أو إياها.

هذا حديث صحيح من حديث أبي اليقظان عمار بن ياسر مولى بني مخزوم صاحب رسول الله ﷺ.

– الحديث الحادي عشر :

عن أم سلمة قالت : (ذكر النبي صلّى الله عليه وسلّم خروج بعض أمهات المؤمنين وضحكت عائشة، فقال لها : أنظري يا حميراء أن لا تكوني أنتِ، ثُمَّ التفت إلى علي وقال : يا علي : إن وُلّيتَ مِنْ أُمرِها شَيْئاً فارفق بها).

هذا حديث حسن من رواية أم سلمة هند زوجة النبي

– الحديث الثّاني عشر :

عن أبي بكرة قال : (قيل له : ما مَنَعَك أن لا تكون قاتلت على بصيرتك يوم الجمل قال : سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم له يقول : يخرج قوم هلكي، قائدهم امرأةٌ، قائدُهُم في الجنَّةِ).

– الحديث الثّالث عشر :

عن عائشة قالت : (لقد رأيت جبريل واقفاً في حجرتي هذهِ على فرس، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم يناجيه، فلما دخل قلتُ : يا رسولَ اللهِ، من هذا الذي رأيتُك تُناجيه ؟ قال : وهل رأيته ؟ قلت : نعم. قال : فيمَ شَبَّهتِه ؟ قلتُ : بدحية الكلبي ، قال : لقد رأيتِ خَيراً كثيراً، ذاك جبريل. قالت : فما لبث إلا يسيراً حتى قال : يا عائشة، هذا جبريلُ يَقْرأُ عَليكِ السَّلامَ. قُلتُ : وعليه السلام ، جَزَاهُ اللَّهُ مِن دَخيلٍ خَيْراً).

هذا حديث حسن، من حديث أبي عائشة مسروق بن عبد الرحمن الأجدع الهمداني الكوفي.

– الحديث الرّابع عشر :

عن عائشة قالت : (أرسل أزواج النبي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنت ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مع عائشة في مِرْطها فأذِنَ لَها فدخَلَتْ فقالَتْ : يا رسولَ اللهِ، إنَّ أزواجَكَ أَرْسَلْنَني إِلَيْكَ يسأَلْنَك العدل في ابنة أبي قحافة فقال رسول الله : أي بنية ألَيْسَ تُحبينَ ما أُحِبُّ ؟ قالت : بلى يا رسول الله، قال : فأحِبِّي هَذِه، لعائشة).

هذا حديث حسن من حديث أبي بكر محمد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي.

– الحديث الخامس عشر :

عن عوف بن الحارث قال : حدثتني رميثة قالت : سمعت أم سلمة تقول : كلمني صواحي أن أكلم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم – وكانت أم سلمة، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وزينب بنت خزيمة، وجويرية حارث، وميمونة بنت جحش في الجانب الشامي، وكانت عائشة وصفية وسودة في الشق الآخر– فقالت أم سلمة : فكلمني صواحبي فقلن : كلمي رسول الله ، فإنَّ النَّاسِ يَهدون إليه في بيت عائشة، ونحن نحب ما تحب فيصرفون إليه هديتهم حيث كان، قالت أم سلمة : فلما دخل عليَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قلت : يا رسول الله ، إن صواحي قدْ أمَرْنَني أن أكلمك تأمر الناس أن يهدوا إليك حيث كُنت، وقُلْنَ : إنَّا نحب ما تحب عائشة، قالت : فلم يجبني. فسألنني فقلت : لَمْ يَرُدُّ على شيئاً، فلما كانت الثالثة عدت إليه فقالَ إليه فقال : (لا تُؤذِينِي في عَائِشَةَ، فإِنَّ الوحْيَ لَمْ يَنْزِلْ عَلَيَّ فِي لِحافِ وَاحدةٍ مِنْكُنَّ غير عائشة)، هذا حديث صحيح متفق على صحته.

– الحديث السّادس عشر :

وبالإسناد نا ابن سعد، حدثني حاتم بن إسماعيل، عن جعفر بن محمد، عن أبيه قال : (لما ثَقُلَ رسول الله ما في مرضه الذي توفي فيهِ قالَ : أَيْنَ أنا غداً ؟ قالوا : عِنْدَ فلانةَ، قالَ : أينَ أنا بعد غدٍ، قالوا : عِنْدَ فُلانة ، قال : فعرف أزواجه أنَّهُ يُريد عائشةَ رضي الله عنها، فقلْنَ : يا رسولَ الله قَدْ وهَبْنَا أيامنا لأختنا عائشةَ).

هذا حديث صحيح، متفق على صحته.

– الحديث السّابع عشر :

عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت : (إنَّ مِنْ نعم الله عَلَيَّ : أن رسول الله توفي في بيتي، وفي يومي، وبين سَحْري ونَحْريَ، وأنَّ اللهَ جمعَ بَيْنَ رِيقه وريقي مَوْتِهِ، دَخَل عَلَيَّ عبد الرحمن وبيدِهِ السواك وأنَا مُسْنِدَةٌ رَسولَ الله على فَرَأَيْتُه ينظُرُ إليهِ وعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السَّواكَ ، فَقُلْتُ : أَخُذُهُ لَكَ فأشار برأْسِهِ : أَنْ نَعَمْ ، فَتَنَاوَلتُه فاشتَدَّ عَلَيْهِ وَجَعَه، وقُلتُ : أَلينه لك لَكَ فأشار برأسه : أَنْ نَعَمْ، فَلَيَّنْتُه فأمره وبَيْنَ يديه رَكْوَة، أو عليه – يَشكُ عُمَرُ فِيها – فَجَعَلَ يُدخِل يَدَيْهِ في الماء فَيَمْسَحُ بها وَجْهَهُ يَقُولُ : لا إلهَ إلاّ الله ، إنَّ للموتِ سَكراتٍ، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَل يَقولُ : فِي الرَّفِيقِ الأَعْلى حتى قبض ومالت يَدُهُ صلّى الله عليه وسلّم).

هذا حديث صحيح من حديث أبي بكر عبد الله بن أبي مُلَيْكَة القرشي من كبار التابعين.

– الحديث الثّامن عشر :

عن عائشة قالت : (فُضّلت على نساء النبي صلّى الله عليه وسلّم بعشر. قيل : ما هُنَّ يا أم المؤمنين ؟ قالت : لم ينكح بكراً قط غيري. ولم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيري، وأنزل الله براءتي من السماء. وجاءَه جبريل بصورتي مِنَ السماء في حَريرةٍ وقال : تزوجها فإنها امرأتُك، وكنت أغتسل أنا وهو من إناء واحد، ولم يكن يصنع

ذلك بأحدٍ مِنْ نسائه غيري، وكان يُصلي وأنا معترضة بين يديه، ولم يكن يفعل ذلك بأحدٍ مِنْ نسائه غيري. وكان ينزل عليه الوحي وهو معي، ولم يكن ينزل عليه وهو مع أحدٍ من نسائه غيري. وقبض الله روحه وهو بين سحري ونحري. ومات في الليلة التي كان يدور علي فيها. ودفن في بيتي).

هذا حديث حسن من حديث أبي محمد.

– الحديث التّاسع عشر :

عن يحيى بن سعيد قال : سمعت القاسم بن محمد يقول : قالت عائشة : وارأساه، فقال لها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لكِ وأدعو لكِ. قالت عائشة : واثكلياه، والله إني لأظنّك تحبُّ مَوْتي ولو كان ذلك لظللت آخرَ يومك مُعْرساً ببعض أزواجك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا وارأساه، لقد هممتُ أن أرسل إلى أبي بكر وابنه وأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنيون فقلت : يأبى الله ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله ويأبى المؤمنون.

هذا حديث صحيح، من حديث أبي محمد القاسم،

وأخرج مسلم أيضاً قوله : (ادعي لي أبَاكِ أو أخاك حتى أكتب كِتاباً فإني أخاف أن يَتَمَنَّى متَمَنٍّ أَوْ يَقُولَ قَائِلٌ ، ويَأْبَى الله والمؤمنون إلا أبا بَكْرٍ)

– الحديث العشرون :

عن عائشة قالت : كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا مرَّ بحجرتي ألقى إلي الكلمة يقر بها عيني، فمرّ ولم يتكلم فعصبتُ رأسي ونمت على فراشي، فمرّ رسول الله وقال : مالك يا عائشة ؟ فقلت : أشتكي رأسي، فقال : بل أنا وارأساه، أنا الذي أشتكي رأسي، وذلك حين أخبره جبريل أنه مقبوض، فلبثت أياماً، وجيء به يحمل في كساء بين أربعة، فأدخل علي فقال : يا عائشة، أرسلي إلى النسوة، فلما جئن قال : إني لا أستطيع أن أختلف بينكن فأذن لي فأكون في بيت عائشة، قلْنَ : نعم، فرأيته يحمر وجهه ويعرق، ولَمْ أكُن رأيت ميتاً قط، فقال : أقعديني، فأسندته إليَّ ووضعت يدي عليه فقبلت رأسه، فرفعت يدي عنه وظننت أنه يريد أن يصيب من رأسي، فوقعت من فيه نقطة باردة على ترقوتي أو صدري، ثم مال فسقط على الفراش، فسجيته بثوب، ولم أكن رأيت ميتاً قط فعرفت الموت بغيره، فجاء عمر يستأذن ومعه المغيرة بن شعبة فأذنت لهما ومددت الحجاب فقال عمر : يا عائشة ما لنبي الله صلّى الله عليه وسلّم ؟ قلت : غشي عليه منذ ساعة فكشف عن وجهه فقال : واغماه، إن هذا لهو الغم، ثم غطاه ولم يتكلم المغيرة، فلما بلغ عند الباب قال المغيرة : مات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يا عمر. فقال عمر : كذبت ما مات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولا يموت حتى يأمر بقتال المنافقين ، بل أنت تحوشك فتنة، فجاءَ أبو بكر فقال : ما لرسول الله يا عائشة ؟ قلت : غشي عليه منذ ساعة، فكشف عن وجهه فوضع فمه بين عينيه ووضع يديه على صدغيه وقال : وانبياه، واصفياه، واخليلاه، صدق الله ورسوله : ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ** ﴾، ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَئِنْ مِتَّ فَهُمُ الخَالِدُونَ** ﴾، ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ** ﴾، ثم

غطاه وخرج إلى الناس وقال : أيها الناس هل مع أحد منكم عهد من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؟ قالوا : لا قال : من كان يعبد الله فإنَّ الله حي لا يموت، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ثم قال : ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ** ﴾. وقوله ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ** ﴾، فقال عمر : أفي كتاب الله هذا يا أبا بكر ؟ قال : نعم . قال عمر : هذا أبو بكر صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في الغار وثاني اثنين فبايعوه، فحينئذ بايعوه.

هذا حديث حسن.

– الحديث الحادي والعشرون :

عن خالد الحذاء قال : سمعت أبا عثمان النهدي يقول : (كان عمرو بن العاص جالساً يُحدِّثُ النَّاسَ عَنْ جَيْشِ السَلاسِلِ قَالَ : قلت يا رسول الله، أي النَّاسِ أحبُّ إليكَ ؟ قال : عائشة. قلت : مِنَ الرِّجالِ ؟ قَالَ : أبوها أبو بكر. قلت : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : عمر بن الخطاب. قُلْتُ : ثُمَّ مَنْ ؟ قالَ : فَعدَّ لي رجالاً).

هذا حديث صحيح من حديث أبي عبد الله عمرو بن العاص بن وائل بن هشام السهمي القرشي.

– الحديث الثّاني والعشرين :

عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (فَضْلُ عَائِشَةَ على النِّساء كفضل الثريد على الطعام)ز

هذا حديث صحيح رواه البخاري بزيادة ورواه رزين في مجموع الصحاح، وزاد فيه جملة : (كمل من الرجال كثيرٌ ولَمْ يَكْمُلُ من النساء إلا أربع : فاطمة بنت محمد، وخديجة بنت خويلد، وآسية امرأة فرعون. ومريم ابنةُ عمران).

– الحديث الثّالث والعشرون :

عن عائشة قالت : (كان رسول الله لا اله إذا غضب على عائشة وضع يده على منكبها فقال: اللهم اغفر لها ذنبها، وأذهب غيظ قلبها، وأعِذْها من مُضلات الفِتَن).

هذا حديث صحيح حسن، من حديث بقية بن الوليد.

– الحديث الرّابع والعشرون :

عن علي رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله : رحم الله أبا بكر زوَّجَني ابنته، وحملني إلى دار الهجرة، وأعتق بلالاً من ماله. رحم الله عُمرَ يقول الحق وإن كان مُرّاً، تَرَكَه الحق وماله من صديق، رحم الله عثمان تستحييه الملائكةُ، رحم الله علياً، اللهم أدر الحق معَهُ حيث دارَ).

هذا حديث حسن صحيح من حديث أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب الفارس المقدم والإمام المكرم له المناقب الشريفة والمكارم المنيفة، فضائله لا تحد ومعاليه لا تعد، أسلم قبل أن يبلغ الحلم قيل : كان ابن

عشر سنين، وقيل : ست سنين، وقيل غير ذلك. وبارز يوم خيبر وأعطاه النبي الله الراية يوم قال : (سأعطي الرايةَ غَداً رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ ورسولَه ويحبُّه اللهُ ورسوله).

– الحديث الخامس والعشرون :

عن أنس أنَّ رجلاً فارسياً كان جارَ النبي صلّى الله عليه وسلّم وكانت مرقته أطيب شيء ريحاً، فصنع طعاماً، ثم جاء إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فدعاه، وعائشة إلى جنبه فأومأ إليه : أن تعال. قال : وهذه مَعي ؟ قالَ : وأشار إلى عائشة، فقال : لا. ثم أشار إليهِ الثانية، فقال : وهذه معي ؟ قال: لا، ثم أشار إليه، فقال: نعم. فذهبت عائشة).

هذا حديث حسن من حديث أبي حمزة أنس بن مالك الأنصاري.

– الحديث السّادس والعشرون :

عن جابر بن عبد الله قال : دخل أبو بكر رضي الله عنه ليستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوساً ببابه لم يُؤذن لأحدٍ منهم قال : فأذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبلَ عُمر فاستأذن فأذن له، فوجد النبي صلّى الله عليه وسلّم جالساً حوله نساؤه واجماً الله ساكتاً قال : فقال لأقولَن شيئاً أضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله، لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجات عنقها ؟ فضحك رسولُ الله وقال : هُنَّ حولي كما ترى يسألنني النفقة. فقام أبو بكر رضي الله عنه إلى عائشة يجأ عنقها، وقامَ عُمر إلى حفصة يجأُ عنقها كلاهما يقول تسألنَ رسول الله ما ليس عنده، قلن: والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شَيئاً أبداً ليس عندهُ، ثم اعتزلهنَّ شهراً أو تسعاً وعشرينَ نزلت عليه هذه الآية: ﴿ **يا أيُّها النّبيُّ قُلْ لأزواجك** ﴾ حتى بلغ ﴿ **لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظيماً** ﴾ قال : فبدأ، بعائشة، فقال: يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك قالت: وما هُوَ يا رسول الله ؟ فتلا عليها هذه الآية. قالت: أفيك يا رسول الله أستشيرُ أبوي بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك أن لا تخبر امرأةً مِنْ نسائك بالذي قلت، قال : لا تسألني امرأة منهنَّ إلا أخبرتها، إنَّ الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً، ولكن بعثني معلماً مُيسراً).

هذا حديث صحيح متفق على صحته.

حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما

– الحديث السّابع والعشرون

عن أنس بن مالك : أنَّ النبي الله طلق حفصة فأتاه جبريلُ فقال : إنَّ الله يُقرئُك السلام ويقولُ : (إنّها لزوجتك في الدنيا والآخرة فراجعها).

هذا حديث حسن من حديث قتادة أبي الخطاب بن دعامة بن قتادة.

أم سلمة هند رضي الله عنها

– الحديث الثّامن والعشرون :

عن أم سلمة قالت : بينا رسول الله له ذات يوم في بيتي إذْ جَاءَتِ الخادم فقالت علي وفاطمة بالسُّدة فقال لي : تنحي فتنحيت في ناحية البيت، فدخل علي وفاطمة ومعهما حسن وحسين وهما صبيان صغيران، فأخذ حسناً فأجلسها في حجره، وأخذ علياً فاحتضنه إليه، وأخذَ فاطمةَ بيدِه الأخرى فاحتضنها وقبلها، وأغدق عليها خميصةً سوداء ثم قال : اللهم إليكَ لا إلى النار أنا وأهلي، قالت أم سلمة : وأنا يا رسول الله ؟ قال : وأنتِ.

جويرية بنت الحارث رضي الله عنها

– الحديث التّاسع والعشرون :

عن عبد الله بن جعفر الرقي، نا عبيد الله بن عمرو، عن أيوب، عن أبي قلابة أن النبي صلّى الله عليه وسلّم سبى جويرية بنت الحارث، فجاءَ أبوها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنّ ابنتي لا يُسبى مِثلُها، وأنا أكرم مِنْ ذلك فخلِّ سبيلها، قال : أرأيت إن خيرنَاها، أليس قد أحسنا ؟ قال: بلى وأديت ما عليك. قال: فأتاها أبوها فقال : إنَّ هذا الرجل قد خيّرك فلا تفضحينا قالت : فإني قد اخترت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. قال : قد والله فضحتنا.

هذا حديث صحيح مرسل.

زَيْنَبُ بنت جحش رضي

– الحديث الثّلاثون :

عن محمد بن يحي بن حبان قال : يقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : مَنْ يذهب إلى زَينب يبشرها أنَّ الله زوجَنِيها من السماء وتلا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ﴿ **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ الله عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ** ﴾.

حديث حسن من حديث محمد بن يحي بن حبان.

– الحديث الحادي والثّلاثون :

عن عائشة قالت : يرحم الله زينب بنت جحش لقد نالت في هذه الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرفٌ : إنَّ الله زوجها نَبيَّه في الدنيا ونطق به القرآن ، وإنَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال لنا ونحنُ حوله: أسرعُكُن بي لحوقاً أطولكن باعاً، فبشرها رسول الله الله بسرعة لحوقها به وهي زوجته في الجنة.

هذا حديث حسن عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

صفية بنت حيي رضي الله عنها

– الحديث الثّاني والثّلاثون :

عن ابن أبي حرملة، عن أخته أم عبد الله ابنة أبي القين المزني قالت : كنت آلف صفية من بين أزواج النبي صلّى الله عليه وسلّم ، وكانت تحدثني عن مِنْ قومها وما كانَتْ تسمعُ مِنْهم قالت : خرجنا حيث أجلانا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأقمنا بخيبر، فتزوجني كنانة بن أبي الحقيق، فأعرس بي قبيل قدوم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بأيام وذبح جُزراً ودعا يهود، وحولني في حصنه بسُلالم، فرأيتُ في النوم كأنَّ قَمراً أقبلَ مِن يثرب، يسيرُ وقع في حجري، فذكرت ذلك لكنانة زوجي فلطم عيني فاخضرت فنظر إليها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين دخلت عليه، فسألني فأخبرته، قالت : وجعلت يهود ذراريها في الكتيبة، وجردوا حصون النطاة للمقاتلة فلما نَزَل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خيبر وافتتح حصون النطاة دخل علي كنانة فقال : قد فرغ محمد من أهل النّطاة وليس ههنا أحدٌ يُقاتل، قد قتلت يهود حيث قتل أهل النطاة، وكَذَّبَتْنا الأعرابُ، فحولني إلى حصن النزاز بالشق – قالت : وهو أحصن ما عندنا– فخرج حتى أدخلني وبنت عمي ونَسَيّاتٍ معنا، فسارَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلينا قبل الكتيبة فسبيت في النزار قبل أن ينتهي النبي صلّى الله عليه وسلّم إلى الكتيبة، فأرسل بي إلى رحله، ثم جاءنا حين أمسى فدعاني فجئت وأنا متقنعة حَيية، فجلستُ بين يديه فقال : إن أقمت على دينك لم أكرهك، وإن اخترتِ الإسلام واخترت الله ورسوله فهو خيرٌ لك. قالت : أختار الله ورسوله والإسلام، فأعتقني رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وتزوجني وجعل عتقي مهري، فلما أراد أن يخرج إلى المدينة قال أصحابه : اليوم نعلم أزَوجةٌ أم سُرِّية ؟ فإن كانت امرأة فسيحجبها، وإلا فهي سُرِّية، فلما خرج أمر بستر فسترت به، فعُرِف أني زوجة، ثم قدّم إلي البعير، وقدم فخذه لأضع رجلي عليها فأعظمتُ ذلك ووضعت فخذي على فخذه، ثم ركبت فكنتُ ألقى مِنْ أزواجه، يفخرْنَ عليَّ يَقُلْنَ : يا بنت اليهودي، وكنتُ أرى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يلطف بي ويكرمني، فدخل علي يوماً وأنا أبكي فقال : مالك ؟ فقلتُ: أزواجك يفخرُنَ عَلَيَّ ويقلْنَ : بنتُ اليهودي قالت : فرأيتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم غضب ثم قال : إذا قالوا لكِ أو فاخَرُوك فقولي : أبي هارون وعمي موسى.

هذا حديث حسن صحيح.

– الحديث الثّالث والثّلاثون :

عن عطاء بن يسار قال : لَمَّا قَدِمَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من خيبر، ومعه صفية أنزَلَها في بيت حارثة بن النعمان، فسمع بها نساء الأنصار وبجمالها، فجِئْنَ يَنظُرْنَ إليها، وجاءت عائشة متنقبة حتى دخلت عليها فعرفها، فلما خرجت خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على إثرها فقال : كيف رأيتها يا عائشة ؟ قالت : رأيت يهوديةً. قالَ : لا تقُولي هذا يا عائشة فإنَّها قد أَسْلَمَتْ فحسن إسلامها.

هذا حديث حسن من حديث أبي محمد عطاء بن يسار مولى ميمونة بنت الحارث زوج النبي الله.

ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها

وهبت نفسها للنبي ونزل فيها : ﴿ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً﴾

– الحديث الرّابع والثّلاثون :

عن عبد الله بن العباس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : (الأخوات الأربع : ميمونة وأم الفضل وسَلمى وأسماء بنت عميس أختهن لأمهن، مؤمنات)

وهذا حديث حسن من حديث كريب.

ذكر ما ورد في فضلهن كلهن مجملاً

وقد قال الله تعالى : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاء ﴾

– الحديث الخامس والثّلاثون :

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : سمعت النبي صلّى الله عليه وسلّم يقول لأزواجه : (إِنَّ الَّذي يَحبُو عليكُنَّ بَعْدِي هُوَ الصادق الْبَارُ، اللهم أسْقِ، عبد الرحمن بن عوف مِنْ سَلْسَبيل الجَنَّة).

هذا حديث غريب من حديث عوف بن الحارث أبي الطفيل المدني، عن أم سلمة زوج النبي الله صلّى الله عليه وسلّم.

– الحديث السّادس والثّلاثون :

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : نزلت هذه الآية في بيتي : ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾ قلت : يا رسول الله، ألست من أهل البيت ؟ قال : إنك إلى خير، إنك من أزواج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قالت وأهل البيت : رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعلي وفاطمة والحسن والحسين. رضي الله عنهم أجمعين.

هذا حديث صحيح.

– الحديث السّابع والثّلاثون :

عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لا يدخل النار من تزوج إلي، أو تزوجت إليه).

هذا حديث حسن من حديث أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب.

– الحديث الثّامن والثّلاثون :

عن الحسن بن علي، عن محمد بن علي قال : (لما كان قبل وفاة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بثلاث هبط إليه جبريل عليه السلام فقال : يا محمد إن الله أرسلني إليك إكراماً لك، وتفضيلاً لك، وخاصة لك، يسألك عما هو أعلم به منك يقول : كيف تجدك ؟ قال : أجدني يا جبريل مغموماً، وأجدني يا جبريل مكروباً، فلما كان في اليوم الثاني هبط إليه جبريل عليه السلام فقال له مثل ذلك، فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم : أجدني يا جبريل مغموماً وأجدني يا جبريل مكروباً، فلما كان يوم الثالث هبط إليه جبريل معه ملك الموت ومعهما ملك في الهواء يقال له : إسماعيل على سبعين ألف ملك، كل ملك منهم على سبعين ألف ملك، قال : فسبقهم إليه جبريل، وقال : يا أحمد إن الله أرسلني إليك إكراماً لك وتفضيلاً لك وخاصة لك يسألك عما هو أعلم به منك يقول : كيف تجدك ؟ قال : أجدني يا جبريل مغموماً وأجدني يا جبريل مكروباً. قال : واستأذن ملك الموت على الباب فقال له جبريل : يا أحمد ، هذا ملك الموت يستأذن عليك، ولم يستأذن على أحد قط من قبلك، ولا يستأذن على آدمي بعدك، فقال : ائذن له يا جبريل، فقال : السلام عليك يا أحمد، إن الله أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك فيما أمرتني، إن أمرتني أن أقبض نفسك قبضتها، وإن أمرتني أن أتركها تركتها ، قال : وتفعل ذلك ياملك الموت ؟ قال : نعم بذلك أمرت، قال جبريل : يا أحمد إن الله قد اشتاق إلى لقائك، قال : يا ملك الموت امض لما أمرت به، قال : فأتاهم آت يسمعون حسّه ولا يرون شخصه فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، إن في الله خلفاً من كل هالك، وعزاء من كل مصيبة ودركاً من كل فائت، فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإن المصاب من حرم الثواب).

هذا حديث حسن مرسل.

– الحديث التّاسع والثّلاثون :

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي، وما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانَهُنَّ إلا لئيم).

حديث غريب من حديث داود بن الحصين.

– الحديث الأربعون :

عن عَمْرو بن سليم الزرقي أنه قال : أخبرني أبو حميد الساعدي أنهم قالوا : (يا رسول الله كيف نُصَلّي عليك ؟ فقال رسول الله ﷺ قولُوا : اللهمَّ صَلِّ على محمد وعلى أزواجه وذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آلِ إبراهيم إنك حميد مجيد).

هذا حديث صحيح من حديث أبي حميد عبد الرحمن بن سعد بن المنذر.

قائمـــة المصـــادر والمراجع.

القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع.

قائمة المصادر والمراجع :

1- الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ﷺ محي الدين يحي بن شرف النووي تح : أحمد عبد الله باجور، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر،ط1، 1988م.

2- الأربعين البلدانية : ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، تح : عبده الحاج محمد الحريري، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1994م.

3- الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين : أبو منصور عبد الرحمن ابن عساكر، تح : محمد مطيع الحافظ وغزوة بدير، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1986م.

4- أساليب بلاغية (الفصاحة، البلاغة، المعاني) .: أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980م.

5- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : مصطفى صادق الرافعي، تح : درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، دط، 2003م.

6- الإكسير في علم التفسير : الطوفي سليمان بن عبد القوي الصرصري البغدادي، تح : عبد القادر حسين، دار الأوزاعي، بيروت، ط2، 1989م.

7- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل : أبو اليمن مجير الدين الحنبلي، د ط، 1968م، المطبعة الجيدرية.

8- الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر الشافعي الدمشقي، تح : إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

9- البداية والنهاية : عماد الدين بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تح : عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، الجيزة، مصر، ط1، 1998م.

10- البديع : أبو العباس عبد الله بن المعتز، تح : عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 2012م.

11- البلاغة العربية ؛ أسسها، وعلومها، وفنونها : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الدار الشامية، بيروت، لبنان، ط1، 1996م.

12- البلاغة الواضحة (البيان، المعاني، البديع) : علي الجارم ومصطفى أمين، دار المعارف، دط، 1999م.

13- البلاغة فنونها وأفنانها : فضل حسن عباس، دار الفرقان، الأردن، ط4، 1997م.

14- البلاغة والتطبيق : أحمد مطلوب وحسن البصير، نشر وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جمهورية العراق، ط2، 1999م.

15- تفسير القرآن العظيم : ابن كثير الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي، تح : يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1987م.

16- التلخيص في علوم البلاغة : الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن ، تح : عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط2، 1932م.

17- الجملة العربية (تأليفها وأقسامها) : فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، عمان، الأردن، ط2، 2007م.

18- جواهر البلاغة : أحمد الهاشمي، تح : يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط، دت.

19- الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون : عبد الرحمن بن صغير الأخضري، تح : محمد بن عبد العزيز نصيف، مركز البصائر للبحث العلمي، المدينة المنورة، دط، دت.

20- الحاشية على المطول (شرح تلخيص المفتاح) : الشريف الجرجاني أبو الحسن علي بن محمد، تح : رشيد أعرضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007م.

21- الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية : كمال عز الدين، دار اقرأ، بيروت، ط1، 1984م.

22- الدارس في تاريخ المدارس : عبد القادر بن محمد النعيميي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.

23- دروس البلاغة : حفني ناصف وآخرون، مكتبة أهل الأثر، الكويت، ط1، 2004م.

24- دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد، تح : محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت.

25- الذيل على الروضتين : أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي ، تح : عزت العطار الحسيني، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1974م.

26- الرحيق المختوم : صفي الرحمن المباركافوري، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، دط، 2014م.

27- الرسالة المستظرفة : محمد بن جعفر بن إدريس الحسيني الكتاني، تح : محمد المنتصر بن محمد الزمزمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط5، 1993م.

28- الرياض الندية في شرح الأربعين النووية : أبو زكريا محي الدين يحي بن شرف النووي وآخرون، تح : محمد بن حامد بن عبد الوهاب، دار البصيرة، الإسكندرية، دط، 2002م.

29- زوجات النّبيّ ﷺ : محمد متولي الشعراوي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، ط1، 2001م.

30- سمات البلاغة النبوية بين الجاحظ و الرافعي و العقاد : عدنان محمد زرزور، مجلة مركز البحوث السنّة والسّيرة، قطر، ط1، دت.

31- السمط الثمين : محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري، تح : محمد علي قطب، دار الحديث، القاهرة، مصر، دط، دت.

32- سير أعلام النبلاء : شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، تح : بشار عواد معروف ومحيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط11، 1996م.

33- شذرات الذهب في أخبار من ذهب : أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، مكتبة القدسي، مصر، دط، 1351هـ.

34- الصحاح (تاج اللغة والصحاح العربية) : الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد، تح: محمد محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، دط، 2009.

35- صحيح مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النايسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1991م.

36- صحيح مسلم بشرح النووي : أبو زكريا محي الدين يحي بن شرف النووي، مؤسسة قرطبة، القاهرة مصر، ط2، 1994م.

37- طبقات الشافعية الكبرى : تاج الدين أبو نصر السبكي، تح : عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، دط، دت.

38- الطبقات الكبرى : محمد بن سعد بن منيع الزهري، تح : علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 2001م.

39- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية : ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، تح : خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983م.

40- علم البيان : عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1985م.

41- علم المعاني : عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2009م.

42- علوم البلاغة : أحمد قاسم ومحي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2003م.

43- في الحديث الشريف والبلاغة النبويّة : محمّد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2011م.

44- القاموس المحيط : الفيروز آبادي مجد الدّين محمّد بن يعقوب، تح : أنس محمد الشّامي وزكريّاء جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، دط، 2008م.

45- الكافي في علوم البلاغة العربية : عيسى علي العاكوب وعلي سعد الشتيوي، مطبعة الإنتصار، الإسكندرية، دط، 1993م.

46- لسان العرب : ابن منظور محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري، تح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط3، 1999م.

47- المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر : ضياء الدّين ابن الأثير، دط، دت، دار نهضة مصر للطبع والنّشر، القاهرة.

48- مدخل إلى البلاغة العربية (علم المعاني علم البيان علم البديع) : يوسف أبو العدوس، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 2007م.

49- المطول على التلخيص : سعد الدين التفتازاني، مطبعة سنده، إيران، دط، 1310هـ.
50- المعجم الأوسط : الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد، دار الحرمين للطباعة والنشر، القاهرة، دط، 1995م.
51- مفتاح العلوم : السكاكي سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي الحنفي، تح : نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987م.
52- المقدمة : ابن خلدون ولي الدين عبد الرحمن، تح : عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، دمشق، سورية، ط1، 2004م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان

مقدّمة: ..... أ

مدخل : بين يديّ البناء البلاغيّ

تمهيد 6

أوّلا : تعريف البلاغة 6

أ– لغة 6

ب– اصطلاحا 6

ثانيا : أركان علم البلاغة 8

أ– علم المعاني 8

1– مفهوم علم المعاني 8

2– موضوعه 10

3– مباحثه 10

ب– علم البيان 10

1– مفهوم علم البيان 10

2– موضوعه 11

ت– علم البديع 11

1– مفهوم علم البديع 11

2– أقسام علم البديع 12

الفصل الأوّل : بين يديّ كتاب الأربعين في مناقب أمّهات المؤمنين

المبحث الأوّل : التعريف بابن عساكر 15

المطلب الأوّل : حياة ابن عساكر 15

أوّلا : اسمه ونسبه 15

ثانيا : نشأته وطلبه للعلم وتعليمه 15
ثالثا : أخلاقه وصفاته 17
المطلب الثّاني : شيوخه وتلاميذه 18
أوّلا : شيوخه 18
ثانيا : تلاميذه 18
المطلب الثّالث : وفاته وجنازته 19
أوّلا : وفاته 19
ثانيا : جنازته 19
المبحث الثاني : التّعريف بكتاب الأربعين في مناقب أمّهات المؤمنين 20
المطلب الأوّل: اسم الكتاب وسبب تأليفه 20
المطلب الثّاني: منهج المؤلّف فيه 21
المطلب الثّالث : نسخة الكتاب ومنهج التّحقيق فيه 22
المبحث الثّالث : بلاغة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم 24
المطلب الأوّل : القيمة البلاغية لحديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم 24
المطلب الثّاني : أسباب البلاغة النّبويّة 24
أوّلا : الخلق والتّكوين 24
ثانيا : النّسب والنّشأة 25
ثالثا : الأداء والتّبليغ 25
المطلب الثّالث : سمات البلاغة النّبويّة 26
أوّلا : عند الجاحظ 26
ثانيا : عند الرّافعي 26
ثالثا : عند العقّاد 27
الفصل الثّاني : بناء أعمدة المعاني في أحاديث الكتاب

تمهيد 29
المبحث الأوّل : الخبر والإنشاء 29
المطلب الأوّل : الخبر 29
أوّلا : تعريفه 29
ثانيا : أغراض الخبر 30
ثالثا : أضرب الخبر 33
المطلب الثّاني : الإنشاء 35
أوّلا : تعريفه 35
ثانيا : أقسام الإنشاء الطّلبي 35
المبحث الثّاني : أحوال المسند إليه والمسند من حيث التّقديم والتّأخير 40
المطلب الأوّل : تعريف التّقديم والتأخير 40
المطلب الثّاني : أوجه التّقديم والتّأخير 40
أوّلا : تقديم على نيّة التّأخير 40
ثانيا : تقديم لا على نية التّأخير 41
المبحث الثّالث : الوصل والفصل 43
المطلب الأوّل : الوصل 43
أوّلا : تعريفه 43
ثانيا : مواطن الوصل 43
المطلب الثّاني : الفصل 44
أوّلا : تعريفه 44
ثانيا : مواطن الفصل 44
المبحث الرّابع : أسلوب القصر 47
المطلب الأوّل : تعريف القصر 47

المطلب الثّاني : أنواع القصر 47

أوّلا : تبعا لغرض المتكلم 47

ثانيا : باعتبار طرفيه 48

الفصل الثّالث : بناء أعمدة البيان في أحاديث الكتاب

تمهيد 51

المبحث الأوّل : التّشبيه..... 51

المطلب الأوّل : تعريف التّشبيه 51

المطلب الثّاني : أنواعه 51

أوّلا : التّشبيه باعتبار الأداة 51

ثانيا : التّشبيه باعتبار وجه الشّبه 51

ثالثا : أنواع أخرى للتّشبيه 52

المبحث الثّاني : الحقيقة والمجاز 55

المطلب الأوّل : تعريف الحقيقة والمجاز 55

المطلب الثّاني : أقسام المجاز 55

أوّلا : المجاز العقليّ 55

ثانيا : المجاز اللّغوي 55

المبحث الثّالث : الكناية 59

المطلب الأوّل : تعريف الكناية 59

المطلب الثّاني : أنواعها 59

أوّلا : الكناية **باعتبار المطلوب بها** 59

ثانيا : الكناية **باعتبار الوسائط** 60

الفصل الرّابع : بناء نقوش البديع في أحاديث الكتاب

تمهيد 63

المبحث الأوّل : المحسّنات المعنويّة 63
المطلب الأوّل : الطّباق 63
أوّلا : تعريفه 63
ثانيا : أنواع الطّباق 63
المطلب الثّاني : المقابلة 66
أوّلا : تعريفها 66
ثانيا : الفرق بين المقابلة والطّباق..... 66
المطلب الثّالث : أسلوب الحكيم 68
– تعريفه 68
المبحث الثّاني : المحسّنات البديعية اللّفظيّة 69
المطلب الأوّل : الجِناس 69
أوّلا : تعريف الجناس 69
ثانيا : أنواع الجناس اللّفظيّ 69
المطلب الثّاني : السّجع 71
أوّلا : تعريفه 71
ثانيا : أقسامه 71
خاتمة 75
ملحق : أحاديث كتاب الأربعين في مناقب أمّهات المؤمنين 79
قائمة المصادر والمراجع 95
فهرس الموضوعات.....100

ملخّص :

يتناول هذا البحث موضوع البناء البلاغي في الأحاديث النبوية، متخذا من أحاديث كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين مادَّته، وقد قُسم البحث إلى أربعة فصول ومدخل، أما المدخل فجُعل لضبط مفاهيم أساسية في البلاغة، ارتكزت عليها الدراسة، والتي تمثل أعمدة البلاغة الثلاثة، وهي: علم المعاني، علم البيان، وعلم البديع، في حين جاء الفصل الأول متضمِنًا الحديث عمَّا يتعلق بالكتاب من ترجمة لمؤلفه، ثم تعريف بهذا الكتاب، وذكرٍ لسبب تأليفه، وشرحٍ لمنهجه، وأخيرا حوى هذا الفصل الحديث عن بلاغة النبي ﷺ عامة.

أما الفصل الثاني فيعد أُولى الفصول التطبيقية، تمَّ من خلاله تناول مباحث علم المعاني، ثم تحليل الشواهد لهذه المباحث مع ذكر الأسرار البلاغية، وأما الفصل الثالث فاختُص بعلم البيان، وتم فيه تناول أساليب هذا العلم من خلال دراسة شواهد الأساليب الواردة في الأحاديث وتحليلها، وجاء الفصل الرابع خاصًا ببناء نقوش البديع في أحاديث الكتاب، وتم من خلاله التعرض للمحسنات المعنوية واللفظية، ثم تحليل الشواهد التي حوت فنون البديع، وفي النهاية أُرفق البحث بخاتمة سُجّل فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

Summary :

This research talks about El Binaa El Balaghi in the hadiths of the prophet. As his subject is the book of El arbaein fi manakib omahat el mouminin. This research was into four chapters and an introduction.

As for the introduction, it is to set basic concepts in rhetoric that represent its three pillars, namely: the science of semantics, science of style and the science of metaphors and stylistics.

While the first chapter defines the book and its author, then it mentions the reasons for writing this book and explains its methodology. Finally, this chapter talks about the eloquence of the prophet Mohammed, may God bless him and grant him peace.

The second chapter is the first practical chapter. It contains topics of the science of semantics and an explanation of examples of these topics with mention of rhetorical secrets.

Concerning the third chapter, it specialized in science of style in terms of its method by studying and explaining the methods mentioned in the hadiths.

In the last chapter, we focused on the metaphors and stylistics of the hadiths of the book.

Finally, we added a conclusion containing the most important results of this research.